A W R A Q

أوراق

مجلّة رابطة الكتّاب الأردنيّين • ثقافية فصلية

2018

21*28 2018.indd 1 8/18/18 4:16 PM

A W R A Q

أوراق

مجلّة رابطة الكتّاب الأردنيّين • ثقافية فصلية

2 0 1 8

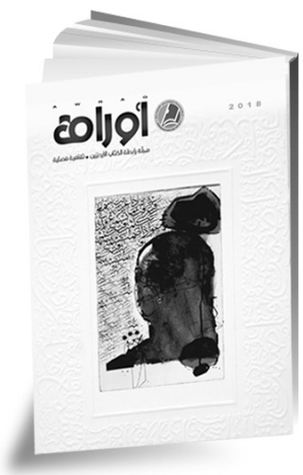

غلاف العدد

تعليمات النشر:

- تخضعُ الموضوعاتُ للتّقويم، ولهيئةِ التّحريرِ أنْ تُعدّلها، أو تُحرّرها.
- تُرسَلُ الموضوعاتُ إلكترونيًّا في ملفٍّ قابلٍ للتّعديلِ والمُعالجة.
- لهيئةِ التّحريرِ أنْ تعتذرَ عنْ نشرِ الموادّ الواردة إليها دونَ إبداءِ الأسباب.
- يتحمّلُ الكاتبُ وحدَهُ مسؤوليَّةَ المادّة المُرسلة،

من حيث المضمون ومُراعاة القوانين المعمول بها.

جميع الحقوق محفوظة، لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب، أو أي جزء منه،
بأي شكل من الأشكال، إلا بإذن خطي مسبّق من المؤلف.

رئيس التحرير

محمود الضمور

مدير التحرير

د. نهلة الجمزاوي

هيئة التحرير

سعد الدين شاهين
د. دعاء سلامة
د. حسام العفوري
نضال القاسم
وليد حسني

الهيئة الاستشارية

أ.د. أحمد ماضي
محمود الريماوي
يوسف عبد العزيز
د. زياد أبو لبن
د. هند أبو الشعر
د. عبد الحميد المعيني
هاشم غرايبة

مراجعة لغوية

د. حسام العفوري

إخراج وإشراف فني

يوسف الصرايرة
yosarairh@hotmail.com
SARAIRA

الغلاف الامامي للفنان: جمال عبد الحميد/ البحرين
الغلاف الداخلي الأول للفنان: أيمن غرايبة/ الأردن
الغلاف قبل الأخير للفنان: محمد نصرالله/ الأردن
الغلاف الأخير للفنان: حازم الزعبي/ الاردن

□□□□ □□□□□ 21*28 2018.indd 2 8/18/18 4:16 PM

- الافتتاحية ..... رئيس التحرير..... 4

■ دراسات أدبية

- لنبدأ بالسؤال: لماذا القصة، ولماذا القصة إلى أين؟ ..... د. عبد الرحيم مراشده 7
- كتاب ملامح الشعر الأردني لـ عبد الرحيم جداية (نقد النقد) ..... د. حسام عزمي العفوري 15
- رواية « فرسان السعال» لوفاء البوعيسى ..... سمير أحمد الشريف 21
- قراءة في بيان حركة نيسان الشعرية ..... د. خولة الشخاترة 25
- صور الغربة في القصّة النسائية. ..... د. أحمد الزعبي 29

■ شعر

- لن تعود البلاد حتى تعودوا ..... د. صلاح جرار 35
- القدسُ وجرحُ النكسة ..... محمد نصيف 37
- أحلام مالحة ..... عبد الله المتقي 39
- أيتها الكثيفة في رؤاي ..... علي شنينات 41
- درويش ..... عصام الأشقر 45
- وجه في المرآة ..... سميح الشريف 47
- لسْتُ بـراحلٍ ..... عبدالناصر الجوهري 51
- على وجه سفَر ..... د. راشد عيسى 53
- دعاء الميدان ..... حسن طلب 57

■ قصص

- "في طائرة" – "رومنسية مستعادة" ..... د. أحمد يعقوب المجدوبة 61
- غيرة آدم ..... أكرم شلغين 65
- شرنقة ..... محمد درويش عواد 69
- قصة قصيرة إنسانية ..... جلّ نار زين 71
- موتى بلا قبور ..... حسام رشيد 73
- أحلام ..... عبد الحقق السلموتي 77
- العلبة السوداء ..... فريدة العاطفي 79
- ابنة عمي وشويهات جدي ..... محمد حماس 83
- قصص قصيرة جداً ..... محمد عارف مشة 87
- الحطب والقطران "مسرحية"..... جبـريل الشيــخ 91

■ ترجمات

- قصيدتان: (السّونيتّة 73: لوليم شكسبير") – ("إن: للشاعر رديارد كبلنغ) ..... د. محمد عصفور 95
- "البتراء" افتخار بخاري ..... نزار السرطاوي 99
- لك أنت، شعر:"عبد الله رضوان" ..... عودة القضاة 103
- التنفس، شعر: مارك ستراند ..... عبد الرحيم يوسف 105
- قصّة سفيتاكيتو والواقع ..... مدني قصري 107

■ فنون

- المرأة والمسرح والإبداع المسرحي ..... د. مجد القصص 113
- فيلم الدائرة ..... مجدولين أبو الرب 119
- الفن في مواجهة الإرهاب ..... غدير حدادين 125

■ دراسات فكرية

- المسألة الديمقراطية في الفكر القومي العربي المعاصر ..... أ. د. أحمد ماضي 129
- من وحْي طريقِ الحرير: دروس وعِبَر ..... أ. د. همام غَصيب 135

■ ورقة أخيرة

- جمال ناجي ... سلام عليك ..... سعد الدين شاهين 141

45 المحتويات

□□□□ □□□□□ 21*28 2018.indd 3 8/18/18 4:16 PM

الافتتاحية

تحتفي رابطة الكتّاب الأردنيين بإصدار عدد جديد من مجلتها العتيدة «أوراق»، بعد انقطاع دام أكثر من عام، وبعد اضطراب ساد إصدارها على مدى السنوات الأخيرة، وإذ نعرب عن الأسف الشديد لهذا المآل، فإننا نأمل أن نواصل إصدارها بشكل منتظم، بما يعكس المكانة الأدبية لرابطة الكتّاب الأردنيين، التي تعبر عن الوجه المشرق والرفيع، للعمل الثقافي والأدبي لأردننا الحبيب.

ويترافق صدور هذا العدد من المجلة، ظروفاً محلية وعربية ودولية بالغة الدقة والحساسية، حيث يتعرض فيها وطننا الأردن إلى مؤامرة خطيرة، تستهدف تصفية قضيتنا الفلسطينية العادلة، ووجودنا في الأردن لصالح الكيان الصهيوني، وحلفائه الإمبرياليين، من خلال محاولة تمرير ما يسمى بصفقة القرن، هذه المؤامرة لم تتكشف خيوطها وملفاتها بشكل واضح بعد، ولكن ملامحها بدت واضحة من خلال السياسة الأميركية، التي أوضح عنها الرئيس الأمريكي ترامب، التي تمثلت باعترافه؛ أن القدس عاصمة أبدية للكيان الصهيوني، ونقل سفارة بلاده إليها، ومطالبة السلطة الفلسطينية والدول العربية بالقبول، بدولة يهودية في فلسطين المحتلة، والرضوخ والاستسلام لكل مطالبها وسياساتها.

وفي الوقت الذي مهدت فيه الولايات المتحدة وحلفاؤها لتنفيذ مخططاتها، فقد هيأت الساحة العربية للخضوع لإرادتها، بعد تدمير العراق وسوريا، ونزع مصر من معادلة الصراع .

وتركيع العمل الفلسطيني المقاوم، وشق وحدة صفه وتكريس كيانين فلسطينيين في الضفة وقطاع غزة، بعد أن زرعت أمريكا وحلفاؤها بذور الإرهاب في الوطن العربي، وأسست وموّلت وسلحت ودعمت منظمات إرهابية، ألبستها ثوب الإسلام والعروبة باطلاً، بعد فشل ما يسمى بالربيع العربي.

21*28 2018.indd 4 8/18/18 4:16 PM

إن الرسالة التي يتحملها المثقفون العرب، والمثقفون الأردنيون، رسالة كبيرة وخطيرة، رسالة تنوير لمواجهة هذه المؤامرات الصهيونية والإمبريالية، التي تستهدف وطننا ووجودنا وحضارتنا وثقافتنا، كما أن رسالتنا يجب أن تنير الطريق، لمواجهة حملات التطرف والإرهاب التي تصاعدت في السنوات الأخيرة، وليس من شك في أن حملة الأقلام والمبادئ والقيم الشريفة في هذه الرابطة، قد حملوا هموم الوطن والمواطن، وسجلوا بحروف من نور معاناة الفئات الفقيرة والمهمشة، ودافعوا بشرف ومسؤولية عن الفقراء والمعوزين، وجسدوا بأعمالهم همومهم وأمالهم وطموحاتهم، وقد تجسد ذلك في الموقف الشجاع، الذي أتخذته الرابطة مع النقابات المهنية في رفض الخنوع، لإرادة صندوق النقد الدولي والسياسات الرامية إلى تجويع المواطن، وتمرير السياسات الاقتصادية الهادفة إلى تركيع إرادته، وسن التشريعات التي تستهدف إرادته وكرامته.

وبهذه المناسبة فإننا نوجه التحية إلى أبناء شعبنا الأردني والفلسطيني، الذين يرفضون ويقامون بكل قوة، المحاولات الرامية إلى تمرير مؤامرة الوطن البديل، وتهويد الأرض المحتلة، ونتوجه بالتحية إلى أبناء شعبنا في سورية والعراق واليمن والسودان وليبيا، وكل بقاع الوطن العربي الذين قدموا ملايين الشهداء والجرحى والمشردين، على طريق الحرية، ونحيي صمود الأسرى في سجون العدو الصهيوني، والسجناء في زنازين القهر والإرهاب في كل ساحات الوطن العربي.

وسنظل نردد دائماً مقولة أن للقلم والبندقية فوهة واحدة، وأن رسالتنا الثقافية هي في تسخير أقلامنا من أجل أن تنهض أمتنا، وتعيد مجد حضارتها الغابر، وأن تظل رسالتها، رسالة حضارية وإنسانية بامتياز.

محمود الضمور/ رئيس التحرير

□□□□ □□□□□ 21*28 2018.indd 5 8/18/18 4:16 PM

□□□□ □□□□□ 21*28 2018.indd 6 8/18/18 4:16 PM

لنبدأ بالسؤال:
لماذا القصة، ولماذا القصة إلى أين؟

د. عبد الرحيم مراشده/ الأردن

لنبدأ بالسؤال: لماذا القصة، ولماذا القصة إلى أين؟

المشهد القصصي والروائي، بشكل خاص، والإبداعي بشكل عام، مشهد مرتبك على الساحة المحلية، ولا يغرّنّكم الأصوات العالية، والجوائز والدروع والشهادات التكريمية المتلاحقة، هنا وهناك، وغالبيتها تعطى كظواهر غير بريئة، ودون وجه حق، وعلينا أن نكون صادقين في وصف المشهد، بعيداً عن النقد المجامل، والضجيج الإعلامي الصاخب، دون فاعلية مؤثرة على خريطة الأدب والنقد في عالمنا العربي وخارجه، ويأتي الارتباك في الكتابة القصصية والروائية، في ساحتنا المحلية لأسباب عدة:

□□□□ □□□□□ 21*28 2018.indd 7 8/18/18 4:16 PM

1- عدم الوعي بالذات، أقصد ذات المبدع لنفسه، وكيف هو أثناء الكتابة، غيره خارج عالم الكتابة، ومن ثم عدم الوعي بالنص ومكوناته، وبمن يتلقى النص، حيث يفترض في المسائل الفكرية والإبداعية، وجود القارئ الضمني، حسب (آيزر وياوس).

2- عدم الدربة الكافية، واللهاث خلف خلق صورة نمطية متعجلة، أمام الكاميرات ووسائل الإعلام، لا سيما وأن فضاء التواصل الاجتماعي، فتح مصراعيه لكل عابر ومدعي، أنّى كانت مرجعياته وأيديولوجيته وثقافته. وهنا يغيب الفن ومكوناته، ويحضر الشخص / الجسد وحركياته وسلوكياته، فيصبح التركيز على الشخصية، والابتعاد عن الجوهر، ومكونات النص وعوالمه.

3- تشظي الفعل الثقافي في هذا الوطن، بسبب من بعض القوانين الناظمة، لتكوين التجمعات الثقافية والفكرية، وهذا يبني هيكلا بلا مضامين، بحيث ينتمي للجسد الإبداعي الخلاق، ويحسب عليه، من هم خارج الفعل الثقافي النظيف، وعبور مثل هؤلاء؛ يؤدي إلى إحلال المرض في هذا الجسد، أو يغدو بلا روح، لاحظوا مجرد وجود سبعة أشخاص واتفاقهم، سواء أكانوا من أسرة واحدة، أو من أسر مختلفة، يكوِّنون ويؤسسون ملتقىً، أو نادياً، أو جمعية، أو منتدىً... الخ. وبذلك يصبح التنافس غير دقيق، لا سيما، وأن النظام الأساسي لمثل هذه المكونات فضفاض، ويعمل على تشظي الفعل الثقافي والإبداعي.

نعود للقصة، لأطرح مقاربة ما عن صنعتها، وأقول: صنعة القصة كبعد إجرائي ومعرفي مؤقت، وقد علق بذهني مثل هذا العنوان، لاستذكاري كتاب قديم بعض الشيء (**لبيرسي لوبوك**) ، بعنوان: (**صنعة الرواية**)، وقد كان الأمر قبل التفكير بهذا الكتاب حول القول: **فن القصة، وليس صنعة القصة**، لكن ما دام أننا سنبحث استشكالات القصة، وأعني هنا ما تثيره من أسئلة، وبخاصة تلك التي لا يمكن عزلها تقنياً عن الرواية، فلا بأس من القول بالصناعة والصنعة، إلى جانب الفن القصصي، وقديماً، وفي تراثنا العربي الأدبي والنقدي، أشاروا باحتراز لمصطلح الصنعة، **وقد ورد المصطلح محايثاً لتبريرات لافتة ومهمة، بقيت حتى الآن، فهذا الجاحظ مثلاً يقول في معرض تعريفه للشعر: (فإنما الشعر صناعة وضرب من النسج وجنس من التصوير)**، ولا بد من الأخذ بعين الاعتبار، السياق الزمني لهذا القول، فهو لم يترك الصنعة، دون توضيح وتحديد للمفهوم، وإنما أضاف لها من لوازم الفنيات ما يسندها، ويقيمها، ذلك أن الإبداع لا يرتضي الانضغاط بقالب يتأسس له سلفا.

القول السابق يحملنا على أن نعي دقة المصطلحات وما ترمي إليه من دلالات، عندما تكون صادرة من خبير موسوعي المعرفة، كالجاحظ، فالصنعة تقابل الحرفة، والضرب، يحيل إلى صك العملة يقال ضرب العملة، والضرب نوع من الخبرة غير الاعتيادية، وفيها بعد جمالي، لتخرج للناس بشكلٍ مُرْضٍ من جهة، ولها قيمة نفسية ومعنوية من جهة أخرى، ثم إن عملية التصوير، لا تشير إلى أن التصويرً فقط على ما قد يعتبره البعض الصور الفنية، بقدر ما يشير على التشكيل والتكوين والخلق... إلخ، لاحظوا معي السياق القرآني الآتي:

{خَلَقَ السَّمَوَات وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ{3} التغابن}، فصوركم هنا بمعنى شكّلكم، والتشكيل هو التركيب على نسق معين، وفيه رؤية مسبقة للكيفية، ثم استدخال عملي للتحسين، وهنا يدخل الإبداع لتمييز الصنعة، وجعلها متفردة مختلفة، إنه الله أحسن الخالقين.

الإبداع خلق، محايث ومتجاوز باستمرار، ولهذا يمكن القول هنا: إن الصنعة والفن للقصة، تقوم على الدراية والتمكن، والأخذ بعين الاعتبار القبول والمتعة والإفادة... إلخ. لا بد من أن تكونه الخبرة قائمة على مرجعيات وممكنات، لا بد من توافرها لإقامة هذا الفن، ليثمر بوصف هذا الفن، أو ذاك يشكل غصناً في شجرة الأجناس الأدبية والفنية، وما نفع غصن اعتراه الذبول واليباس؟.

□□□□ □□□□□ 21*28 2018.indd 8 8/18/18 4:16 PM

لكل فن عناصره البانية له، ليستند إلى جدار سميك من العلم والوعي والمعرفة، ليقيمه حتى يصمد، أمام المتحولات والمتغيرات في هذا الكون والحياة، **ولا نقصد بالصنعة الحرفة الميكانيكية للأشياء**، أضيف مسألة أخرى من تراثنا؛ لعلها تعزز ما أذهب إليه من ضرورة الوعي بالنص ومشتملاته، وهذه المسألة هي فهم مسألة الكتابة وعلاقتها بالأشياء، وقد التفت لمثل هذه المسائل علماء أجلاء من تاريخنا العربي، من أمثال **شهاب الدين القلقشندي**، في كتابه (**صبح الأعشى في صناعة الإنشا**)، حيث يذكر عن الكتابة الإبداعية ما مفاده: (**الكتابة صناعة روحانية تظهر بآلة جثمانية، دالة على معنى بتوسط النظم**)، لقد سبق هذا العلّامة، الغرب في طروحاتهم حول مسألة الكتابة الخلاقة، فهو أسبق من (رولان بارت)، الذي يراها (**التقاء بين المعطى الفيزيقي واللافيزيقي للإنسان، إنها التقاء بين اللحمة والعالم**)، **وأسبق من (رومان ياكبسون) في كتابه قضايا الشعرية**، ومثل ذلك نشير إلى العلامة (**عبدالقاهر الجرجاني**) في توكيده على مسألة بناء الجملة الإبداعية الداخلية، ليصل إلى سبق فكري معرفي فيقول ما معناه: إن (**الكلمة معطلة خارج السياق، والقيمة في كيفية التركيب، وعلاقات التجاور بين الحروف والكلمات**)، وهذا ما استجلاه ناقد غربي حديث هو (**جون لاينز**) في كتابه المعنى والسياق... إلخ، والناقد العربي المعروف (**كمال أبو ديب**)، في كتابه (**جماليات التجاور وتشابك الفضاءات**).

القصة وأنماطها المختلفة، تبدو متعالقة مع الرواية حيناً، ومتفردة عنها حيناً آخر، للرواية حضوراً أحياناً، ومتراجعة أحيانا أخرى، ولنعلم أن العصر الذي نعيش، يوجد فيه تزاحم بين الأجناس وتداخلها وتعالقها، مع بعضها البعض، وقد أشار بعض النقاد المعاصرين، إلى سيادة جنس الرواية في هذا العصر، على ما عداها، وهذا نابع من حركية المبدعين، وحركية التجريبات الإبداعية المتوالية، على خريطة الأدب العربي والعالمي.

أثر تداخل الأجناس على الرواية والقصة:

هنالك نظريات ومناهج مهمة ومتجددة، على المبدع أن يلمّ بها، ليتابع حركية التحولات التي تفرضها، البيئة والظروف الفكرية والاجتماعية والتاريخية والسياسية... إلخ، وفي عصرنا يلفت الانتباه في الدرس النقدي الحديث، اندفاعه بشكل لافت خلف التجريبات الجديدة، والمحاولات الإبداعية الخلاقة، فظهرت نظرية تداخل الأجناس، وسادت في الغرب مع أواسط القرن العشرين الماضي، وأفاد منها المبدعون العرب، وهذا لا يعني عدم استشعارها في أدبنا القديم، لكنها لم تصل لحدود العلم المنهجي والنظرية كما هي اليوم، فمنذ كتاب (**جيرار جينيت**) الموسوم: (**العتبات**)، وكتابه الآخر المهم، (مدخل لجامع النص)، ظهرت النظرية بشكل لافت، ووسعها ووضع ركائزها الأساسية العالمان الألمانيان (آيزر وياوس)، ومن هنا راح بعض المبدعين إلى عدم ذكر تجنيس معين على كتاباتهم، فلم يثبتوا جنس العمل الإبداعي، وهذا ما فعله مثلاً عند العرب غير واحد من المبدعين العرب، الخراط في رواياته، ود. أحمد الزعبي في بعض مجموعاته القصصية والروائية. ووجدوا سنداً لذلك من النظريات النقدية المتعاقبة، ومن تاريخنا العربي الكلاسيكي.

قد تبدو الرواية أكثر قابلية للتداخل بين الأجناس من القصة، وذلك لأن الرواية لها رحابة واسعة، وفيها تشيع **القصة الإطارية**، وقابلة لاستدخال كثير من الأنماط والأجناس الأدبية الأخرى، حتى قال عنها فورستر: (**الرواية كما لو مستنقع يرفدها روافد عدة**)، **أما القصة** فمساحتها وشريطها الزماني والمكاني أقل، ولا تهتم كثيراً بالتفاصيل.

21*28 2018.indd 9 8/18/18 4:16 PM

هذه **النظرية** فتحت المجال واسعاً للتجريب والخروج من القوالب الجاهزة والنمطية في الكتابة القصصية، وأسهمت في التنوع، واجتراح أنماط وتنوعات جديدة من الجنس القصصي. وهنا لا بد من الإشارة إلى ضرورة الوعي، بالتقنيات النوعية، والبانية لكل نوع، أو جنس أدبي من قبل منشئ النص. وعند اجتراح نوع، أو نمط، لا بد من الأخذ بعين الاعتبار الأنواع السابقة عليه، ومدى قابليته لإيجاد مكوناته في داخله، بما يجعله يصمد أمام حركية النقد العلمي، حيث الدرس النقدي يقوم على أسس ومناهج وقواعد ضابطة، ليس القصد من الضبط الصرامة بقدر ما؛ وإنما الاتجاه نحو عدم وجود هنات نوعية، تؤثر في قيمة العمل الإبداعي.

قد يعتقد الكاتب/ المبدع عند الشروع بالكتابة الإبداعية، برغبة لكتابة جنس ما دون غيره، أو يتحول للكتابة من جنس إلى آخر، كما يفعل بعض الشعراء، مثلاً؛ الذين يهربون لكتابة الرواية... فنظرية الأجناس تعطي بعض الحرية لرواد الكتابة الإبداعية، وتدفعهم للخلق والتجديد... ولكن على أن لا يصل إلى حد الانفلات الفوضوي. ولهذا لا بد من الوعي بالذات والوعي بالنص والوعي بالمتلقي المضمر والضمني، وإلا سيقع في مزالق تثلب عمله وخطابه، والهدف الذي بني عليه العمل.

لنقدم الآن بعض المقاربات لمفهوم القصة وأنماطها، قبل الولوج لمسألة المزالق والهنات، التي قد تخرج النوع القصصي من خطابه، بأثر من خلل في توزيع وجهات النظر عبر النص. مع العلم أنه لا يوجد تعريف قار شمولي نهائي لمفهوم القصة والرواية والشعر... إلخ.

التعريفات الشائعة حديثاً:

لا أريد الخوض في مسألة نشأة القصة وتاريخها، إلا بشيء يسير، نكتفي به لغايات هذه الورقة، حتى لا نعبر إلى القص والحكاية، والقص القرآني والخبر، والحالة والريادة... إلخ. لكن لا بد من الإحاطة والاحتراز من التمييز الواعي للمصطلح، المتعالق مع مفهوم القصة والرواية. على الأقل لا بد من التمييز بين الحكاية والقص والقصة، والقصة القصيرة... وعليه أوجز بعض التعريفات التالية، وهي قابلة بالتأكيد للنقاش المتجدد، وبذهني التفكير والتساؤل: ما الذي يجعل من الكلام قصة، وما الذي يجعل من الكلام شعراً... إلخ. ولعل الإجابة تحيل إلى مكونات كل نوع من الأنواع، وقد ذكر سارتر في كتابه: (ما الأدب؟) وكان العنوان بهذه الصورة التساؤلية: ليصل إلى نتيجة مهمة، فقال الجواب (أدبية الأدب)، بمعنى النظر في المكونات البانية، لكل نوع وجنس أدبي، أو حتى لأي علم من العلوم.

1- ورد فورستر عن القصة في كتابه (أركان الرواية)، يفترض أن لا تقل مجموع كلمات القصة، عن خمسين ألف كلمة، وهذا لم يعد مجدياً، ويضرب مثالاً على شيء مهم لتتكون القصة، ومثاله، القول: (ماتت الملكة)، هذا ليس بقصة. هي خبر، حكاية، مقولة، حالة ما. لكن بإضافة جملة أخرى نسجل عبورا للقصة والجملة، هي (ثم مات الملك حزنا عليها). هنا يدخل التحول ونمو الحدث والصراع والحبكة والقلق والتوتر... إلخ.

□□□□ □□□□□ 21*28 2018.indd 10 8/18/18 4:16 PM

2- يعرف (**بينيفون ت**- 1335) الناقد الألماني، الذي أسس لمصطلح القصة وتحولاتها في الاصطلاح، فقال: عن نوعها هي: (**القصة النثرية ذات المجال الضيق التي تسرد حدثاً جديداً غير مألوفٍ، وقد يعني بالجديد الحدث وطريقة السرد**).

3- **تعريف ((لسنغ 1751)، القصص القصيرة نوع نثري، يتميز عن الرواية ببساطة الخطة، ومحدودية الحجم والمغزى).**

4- **تعريف ((غوتة 1827)، ليست القصة أكثر من الحدث المثير اللامعقول).**

5- **تعريف ((يمنى العيد) نوع قولي نثري يستعين بتقنيات معينة، لبناء عالمه الخاص)، مع الأخذ بعين الاعتبار، لحظات التوتر والاسترخاء القصدي في أماكن محددة، للإبقاء على يقظة القارئ، وأوردت التقنيات في كتاب عنونته: بـ(تقنيات السرد). أنماط الراوي.**

6- **تعريف ((جيرار جنيت) القصة تنطوي على عناصر منها؛ الحذف الزمني، والوقفة الوصفية المختزلة، والمشهد الدرامي والسرد الموجز)، ويضيف لوبك الإيقاع المنسجم.**

المزالق التي تكتنف العمل القصصي:

1- **عدم التفريق بين الخطاب والنص، والجنس والنوع.**

2- **عدم الإلمام بمفهوم وجهة النظر في النص القصصي والروائي.**

3- **قلة المتابعة والوعي، بالمناهج النقدية والتجريبية السائدة، من جهة وبمكونات النص المكتوب.**

4- **التعلق بالخبر والحدث والمشهد الواقعي، ولقلة القدرة على التخييل، يبقى كثير من المبدعين الشباب، خاصة ضمن إطار تعليمي كلاسيكي، فيكتبون القص والحكاية بدل القصة.**

5- **عدم الوعي بالتقنيات السردية لكل نوع، التي تحتاج لدربة خاصة، والإطلاع على تجارب الآخرين، لا سيما تجارب ما بعد الرواية الجديدة، التي أسسها كل من (ألن روب غرييه) و(ناتالي ساروت)... وهي تقنيات ضرورية ومهمة، وسنضرب عليها مثالاً من القصة العربية، لغايات التمثيل فقط.**

6- **عدم الوعي بالأبعاد اللغوية المناسبة والمتعالقة، مع جنس القصة بأنماطها المختلفة، مثل التكثيف والإيجاز والترميز، وبناء الجملة الداخلية، والسيطرة على حركية الفضاء، وهنا تبدو هشاشة اللغة المستخدمة، عند كثيرين، وخفوت دهشتها وضجيجها، الحروف والكلمات، كما لو عناصر كيميائية، المبدع هو المتمكن من التعامل، مع هذه العناصر. وللغة حكمتها، وتحتاج لحكيم بالمفهوم العميق للتعامل معها، لإنجاز أسلوب خاص، لا يشير إلا إلى من أنجز هذا الأسلوب. وهنا نحتاج إلى التفريق بين اللغة والكلام بمفهوم سوسير.**

7- **غالبا ما ينسى المبدع نفسه، تحت ضغط إشهارية الذات على حساب الحدث، والعناصر الداخلة في النص الإبداعي، وقد تتحول القصة عنده إلى مجرد سيرة للذات، أو لشخصية تشكل قناعاً، أو تشابها مع الكاتب.**

□□□□ □□□□□ 21*28 2018.indd 11 8/18/18 4:16 PM

قصص أمثلة:

مثال على القصص القصيرة الناجحة من مجموعة نمور في اليوم العاشر:

الذي أحرق السفن

1- الاعتقال

الأشجار الخضر في الشارع، كفت عن الغناء لحظة تحلق عدد من رجال الشرطة متجهمي الوجوه حول رجل يمشي على الرصيف سيفًا هرمًا، رمحًا متعبًا، آن له أن يخلد إلى الراحة بعد انتصاره في آلاف المعارك. وابتدره واحد منهم قائلاً له بلهجة فظة: (أعطنا هويتك).

فتقبّل الرجل لهجة الشرطي باستنكار، وأوشك أن يستسلم لحنق عارم، لكنه اكتفى بالابتسام باستعلاء. ومدّ يده إلى جيبه، وأخرج هويته، وقدمها للشرطي الذي ألقى عليها نظرة سريعة، ثم قال متسائلاً: (أنت إذن طارق بن زياد؟).

فأجاب الرجل باعتزاز: (نعم أنا طارق بن زياد).

عندئذ قال الشرطي ساخرًا: (هلا تفضلت بمرافقتنا؟).

- (إلى أين؟).
- (إلى المخفر).
- (المخفر! ولماذا).
- (مطلوب للتحقيق).
- (أنا أنا طارق بن زياد!).
- (لا يهمّنا من تكون. أنت الآن شخص تقضي الأوامر باعتقالك حيا، أو ميتًا).

فقطّب طارق بن زياد جبينه بينما كان الدم المتدفق في شرايينه رعدًا شرسًا، غير أنه لم يكد يهمّ باستئناف سيره حتى طوّقه رجال الشرطة وأمسكوا به. فحاول الإفلات من أيديهم، فبادروا يضربونه بقسوة وتشفٍّ، حتى أرغموه على الكف عن المقاومة، وتهاوى أرضًا يغمره الخجل والدم.

2- الاستجواب

في اليوم الأول خلق الجوع في اليوم الثاني خلقت الموسيقى في اليوم الثالث خلقت الكتب والقطط في اليوم الرابع خلقت السجائر في اليوم الخامس خلقت المقاهي في اليوم السادس خلق الغضب في اليوم السابع خلقت العصافير وأعشاشها المخبأة في الأشجار.

وفي اليوم الثامن خلق المحققون، فانحدروا توًا إلى المدن، وبرفقتهم رجال الشرطة والسجون والقيود الحديدية.

(طارق بن زياد.. أنت متهم بتبديد أموال الدولة).

- (مخطئون. أنا لم أبدد أي أموال).

(ألست أنت الذي أحرق السفن).

□□□□ □□□□□ 21*28 2018.indd 12 8/18/18 4:16 PM

– (حرق السفن كان لا بد منه لكسب النصر).

(لا نريد سماع أعذار. أجب عن سؤالنا فقط. هل أحرقت السفن أم لم تحرقها).

– (أنا أحرقت السفن..).

(وأحرقتها دونما إذن! لماذا لا تجيب هل حصلت على إذن من رؤسائك بحرق السفن).

– (إذن؟! الحرب تختلف عن الكلام في المقاهي والشوارع).

وتأمّل طارق بن زياد بعينين مفعمتين بالازدراء والنقمة وجوه المحققين المحيطين به، ثم سألهم بهدوء:

(أين كنتم وقت الحرب).

(كنا نؤدي واجبنا).

(نحن أيضًا حملنا السلاح).

فصاح طارق بن زياد بصوت نزق: (حملتم السلاح وجلستم وراء المكاتب، تحتسون الشاي والقهوة، وتتحدثون عن الوطن والنساء!).

فضحك المحققون، ثم تعالت أصواتهم جوفاء صارمة باردة:

(أنت خائن).

(حرق السفن كان ضربة لقوة الوطن).

(من الذي استفاد من حرق السفن لا أحد سوى العدو).

(تكلم. السكوت لن ينفعك).

(لدينا الوثائق التي تثبت خيانتك وتعاونك مع العدو).

(الشعب يعرف كيف يعاقب الخونة).

وهجم البحر والأعداء، وامتزجا بصرخة رجل: (البحر من ورائكم والعدو أمامكم).

فصاح طارق بن زياد بصوت متهدج: (ولكني أنا الذي هزم الأعداء).

فقيل له إن ما يقوله لا علاقة له بالتهمة الموجهة إليه.

(...)

3- الإعدام

هربت النجوم، فها هم أولاء قد أتوا، وفتحوا باب الزنزانة، ودلفوا إلى داخلها جرادًا جائعًا، ولم يدهشوا عندما ألفوا طارق بن زياد جثة هامدة، إنما سارعوا ينقلونه إلى ساحة المدينة، وهناك تلوا الحكم بإعدامه شنقًا، ثم سألوه عن رغباته الأخيرة، فلم يفه بكلمة، فعَدُّوا صمته دليلاً على عدم وجود ما يرغب فيه، وبعدئذ تدلى مشنوقًا.

من مواطن مثالي إلى السيد مدير الشرطة: خضوعًا لأوامركم، أرجو السماح لي بأن أموت.

□□□□ □□□□□ 21*28 2018.indd 13 8/18/18 4:16 PM

□□□□ □□□□□ 21*28 2018.indd 14 8/18/18 4:16 PM

جمالية الألفاظ وسياقاتها النصية،
وتقريبها إلى المفاهيم والمصطلحات العلمية

في كتاب ملامح الشعر الأردني لـ عبد الرحيم جداية (نقد النقد)

الدكتور حسام عزمي العفوري

إن التحدي المهم الذي يقابل الناقد، عند قيامه بقراءة نص ما، هو تناسب المفهوم لذهنه وخبرته وثقافته، وهذا مما يسمح للناقد، أو المتلقي، بإجراء مسح عام، لمعاني الصور والألفاظ، وسياقاتها النصية، في تقريبها إلى المفاهيم والمصطلحات العلمية، مما يؤدي إلى التماس اختياراته للمفهوم والمصطلح المناسبين، لكلا الناقد والكاتب، فإما يكلل عملهما النجاح المشترك، أو الفشل لكليهما.

□□□□ □□□□□ 21*28 2018.indd 15 8/18/18 4:16 PM

فاللغة الأدبية ولغة المعاجم، لا تكفي في دراسة الأدب وتحليله، بعيداً عن تصورات الصيغة المصطلحية العلمية المتداولة، في إظهار صورة النص الأدبي الفنية، وتشكيلها، حسب رؤية الناقد والكاتب معاً.

فحين نقول إن اختلاف المفاهيم والمصطلحات، قد أوصلتنا إلى إشكالية، عدم ضبط فوضى الكتابة والكتاب بشقيه الأدبي والنقدي.

نقول خلافاً لهذا؛ نستطيع خلال دراسة المفاهيم والمصطلحات، وبثها في أنفسنا، أن نعدل مسار الكتابة، من فوضوية إلى فنية وإبداعية، تسطع بنورها على أدبنا، لترتقي إلى العالمية.

لذا؛ حينما قرأت ما كتبه التشكيلي عبد الرحيم جداية في كتابه ملامح الشعر الأردني، وجدت أن ميكانيكا التصورات الجمالية، وتشكل الفضاء الشعري في تجربة الشاعر محمد مقدادي. تلتصق بتقريب المفاهيم والمصطلحات العلمية، من جمالية الألفاظ إلى سياقاتها النصية في ذهنية الشاعر الناقد التشكيلي جداية.

«فالنص الشعري تجربة ميكانيكية جمالية ذاتية حسية شعورية، للتعامل مع النص الشعري نقديا بطرائق جديدة.» (جداية، ملامح الشعر الأردني، ص 50)، وكأنه اتخذ من ميكانيكا الكم، أو الميكانيكا الموجية في تفسيرات أطياف الانبعاث، وتفسير السبب في ظهور خط طيفي جديد، وقد كان العالم هايسنبرج، هو من حل مشكلة تحديد مكان الجسيم، الذي يتحرك حركة موجية، حين قدم صياغة لمبدأ عدم التأكد، التي تنص على أنه «من المستحيل أن نحدد بدقة تامة، عزم ومكان وجود الإلكترون في نفس الوقت». فإذا استطعنا قياس عزم الجسيم بدقة، فإن معرفتنا بمكان وجود الإلكترون تصبح أقل دقة، والعكس بالعكس. ويمكن تمثيل الوضع بالمثال التشبيهي الآتي:

إذا أردنا أن نلتقط صورة فوتوغرافية، لسيارة تتحرك بسرعة كبيرة، فإن أمامنا أحد طريقين:

الأول: أن نضبط غالق الكاميرا على سرعة بطيئة، وبذلك نحصل على صورة مشوشة للسيارة، ولكنها كافية، لتعطي الانطباع، بسرعة حركتها.

والطريقة الأخرى: أن نضبط غالق الكاميرا على سرعة كبيرة، وفي هذه الحالة سنحصل على صورة واضحة المعالم للسيارة، ولكن ليس فيها، أي أثر للحركة.

وهنا حاول الناقد جداية أن يطبق النظرية الموجية، التي هي: عبارة عن مربع سعة الموجة، بتناسب طردي مع كثافة الضوء، التي تربط قيمة الدالة بساي التي تعبر عن موضع الإلكترون في الذرة؛ من أجل تقريب المفاهيم والمصطلحات العلمية من جمالية الألفاظ إلى سياقاتها النصية.

ويقول جداية عن تشكل الفضاء الشعري في كتابه (**قراءات في الشعر الأردني الحديث**): تميزت فضاءات الديوان الشعرية، من مثل:

1- الفضاءات الرحبة: التي تتسع باتساع خيال الشاعر، لتكون الحركة بعدا فيزيائياً.

2- مفهوم الفضاء والفكرة: حيث مساحة التفكير، والتأمل في الكون، ومصيره.

3- الفضاء والعتبات: حيث الأفق، والرؤية بين إتساع، وتقلص الأبعاد على مساقط الرؤية.

4- الزمن في الفضاء الشعري: حيث عمل الباحث على رصد وقت الكتابة، وتشكيله شعراً، وغياب رصد الحدث في بعض الأحيان؛ لأن وقت التلقي، هو زمن ثالث في تشكيل فضاء النص الشعري، وفضاء الجملة الشعرية.

□□□□ □□□□□ 21*28 2018.indd 16 8/18/18 4:16 PM

وأيضاً درس آلية تشكل الصورة الذهنية، وانعكاس الأشياء على ذهنية الفرد، لتشكيل الفضاء من خلال وعي الفرد. (ملامح الشعر الأردني، ص 36-35)، بذلك يكون قد استفاد من الفيزياء، في الولوج إلى عتبة النص، والتعبير عنها، جمالياً بين العلم والأدب.

ونقتبس من الكلمات التي استخدمها التشكيلي جداية في دراسة الشعر المعاندة والمطاوعة: «المفهومان لم يصطلح عليهما علماء النقد؛ لأن هذين المفهومين ينهلان من اللغة، ويفسران بالفيزياء والرياضيات والعلوم الأخرى، حيث تتشكل الصورة الفنية بين المعاندة والمطاوعة، والرفض والقبول، والخيال والوهم، بين كل هذه المتغيرات تتشكل التراكيب الجمالية، والصور الفنية في ديوان: (**موتى بلا سقوف**). (جداية، ملامح الشعر الأردني، ص 7).

فالغزالي يقول: «فاعلم أن كل من طلب المعاني من الألفاظ، ضاع وهلك، ومن قرر المعاني أولاً في عقله، ثم أتبع المعاني الألفاظ، فقد اهتدى».

لذا؛ قام التشكيلي جداية باستخدام نظرية التعاند في إظهار فاعلية النص وحركته الفيزيائية، فعندما ننظر إلى نمط التعاند؛ سنجد أن المتكلمين يسمونه (السبر والتقسيم)، والمنطقيين يسمونه الشرطي المنفصل، ويسمون ما قبله الشرطي المتصل، وبالجملة: كل قسمين متناقضين متقابلين، إذا وجد فيهما شرائط التناقض؛ فينتج إثبات أحدهما نفي الآخر، ونفي أحدهما إثبات الآخر، ولا يشترط أن تنحصر القضية في قسمين، بل شرطه أن تستوفي أقسامه، فإن كانت ثلاثة؛ فإنّ العدد إما مساوٍ، أو أقل، أو أكثر، فهذه ثلاثة لكنها حاصرة، فإثباتٌ واحد ينتج نفي الآخرين، وإبطال اثنين ينتج إثبات الثالث، كقولك: زيد إما بالعراق، وإما بالحجاز، فهذا مما يوجب إثبات واحد نفي الآخر، أما إبطال واحد فلا ينتج إثبات الآخر، إذ ربما يكون في صقع آخر. (الغزالي، المستصفي، ص 102).

فعندما حاول التشكيلي جداية، تفسير ظاهرة الظل، فسرها تفسيراً علمياً، بقوله:

«الظل: ومما يعرف علمياً، بأن الظل هو مساقط الأشياء، والأجسام والأشكال، فالشكل المستطيل يكون ظله مستطيلا، وكذلك المربع والدائرة، ويتشكل الظل حسب مسقط الضوء على الأشكال، لتكون الظلال بأشكال منتظمة، كما البنايات والمكعبات والأشكال الهندسية، وغير منتظمة كما الأشجار وظلال البشر.

لهذا يكتب جداية النقد، ليس لأنه يعتبر نفسه؛ كاتباً وأديباً وشاعراً وناقداً؛ وإنما لكي يتوقف قليلاً على عتبات النص، يتعلم الشعر وموسيقاه، ويرسم الشكل بما يناسب الروح، ويظهر المضمون العميق، إن كان غائباً، أو حاضراً، ويتغنى باللفظ بحركته وسكونه، ويسمو بالمعنى والدلالة، هكذا كان منذ سنين طويلة، عندما كنت أراه غارقاً بالتفكير والقراءة والبحث، وساعياً بهمة عالية، لحضور الندوات والمؤتمرات العلمية والأدبية، مستمعاً ومشاركاً، وكأنه كان ينظر إلى المشهد الثقافي، كحالة تتبلور في مكوناتها الزمان والمكان، في تشابك هندسي مع ثقافته وعلمه، وهذا ما جعله ملتصقاً بالمعرفة والثقافة واللغة.

فالناظر إلى الأدب عند هارولد بالمر، سيجد بأنه «الجانب الاصطناعي من اللغة،» وإلى كيف طور العلماء المختصون واللغويون، والمعجميون، والمناطقة، علماً جديداً أطلق عليه اسم: المصطلحية (علم المصطلح). وهو «العلم الذي يبحث في العلاقة بين المفاهيم العلمية والمصطلحات اللغوية التي تعبر عنها». وهو علم مشترك بين علوم اللغة، والمنطق وحقول التخصص العلمي، ويهم هذا العلم المتخصصين في العلوم والتقنيات، والمترجمين، والعاملين في الإعلاميات، وكلٍّ من له علاقة بالاتصالات المهنية والتعاون العلمي. فكل هذه العلوم تتناول في جانب من جوانبها، التنظيم الشكلي للعلاقة المعقدة بين المفهوم والمصطلح.

□□□□ □□□□□ 21*28 2018.indd 17 8/18/18 4:16 PM

إذن؛ المفهوم فكرة، أو صورة عقلية تتكون من خلال الخبرات المتتابعة التي يمر بها الفرد، سواء كانت هذه الخبرات مباشرة، أم غير مباشرة، يختلف المفهوم عن المصطلح، في أن المفهوم يركز على الصورة الذهنية، أما المصطلح فإنه يركز على الدلالة اللفظية للمفهوم، كما أن المفهوم أسبق من المصطلح، فكل مفهوم مصطلح، وليس العكس، وينبغي التأكيد على أن المفهوم ليس هو المصطلح، وإنما هو مضمون هذه الكلمة، ودلالة هذا المصطلح في ذهن المتعلم، ولهذا يعتبر التعريف بالكلمة، أو المصطلح هو الدلالة اللفظية للمفهوم».

ولهذا كلّه، تلجأ اللغات إلى التعبير عن المفاهيم الجديدة، بالمجاز والاشتراك اللفظيّ، وغيرهما من الوسائل الصرفيّة والدلاليّة.

لذا؛ سنجد إشكالية المفهوم والمصطلح، في التصور الذهني، عند القارئ والناقد باختلافهما، من جيل إلى جيل، ومن عالِم إلى آخر، حتى أننا نجد هذه الإشكالية عند ناطقي لغات العالم.

إن التشكيلي عبد الرحيم قد ساوق بين المفهوم والمصطلح منذ سنوات، فالذي جعلهما واضحين في ذهنه، هو دراسته للفن التشكيلي والآثار، فهو يرتكز على نوع التفكير والتوجّه، والمقولات الفلسفية والجمالية، بمحاولة إعطاء حدّ وتحديد للصورة الأدبية.

حيث نجد أن هذه الأمور مرتبطة، بما رسم ونقش وتأمل، في كتاباته حول النقد الشعري والنثري؛ لأن هذه الدراسات أرست له، ملامح الجمال والإبداع والنظر والتأمل.

فالتشكيلي عبد الرحيم جداية قد استخدم القرينة، بقيمتها الدالة على الصورة الفنية، واختلاف الفروق بين الأشخاص، للتعرف على المفهوم والمصطلح من نصوص مختلفة، حيث يشكل هذا الاختلاف الجمالي بين الأفراد، بما يتعلق بتحديد الفرق بين (الصورة البلاغية)، و(الصورة الذهنية)، من طاقة حركية وطاقة كامنة (سكونية)، في إطار ميكانيكي، يتولد منه ديناميكية تيارات كهربائية، أو هوائية، بالإضافة إلى العامل الهندسي من حساب المسافة، وقياس المساحة.

لذلك فإن الذهنية المعبرة عما تلتقطه، من صور ومشاهد ولوحات تصويرية، شهدت بما يناسبها من مفاهيم ومصطلحات، وهذا ما يحدث عند تقريب شيء بشيء آخر، لذا فإننا سنجد ذهنية التشكيلي الناقد عبد الرحيم، قائمة على المقاربات الجمالية والفنية في قراءة النصوص، وهذا ما أعطاه مساحةً موجية، تقاربُ بين نص الآخر، ومكنونات المؤلف الكاتب، وبين جداية الشاعر الناقد بنصه الجديد الثاقب، ومكنوناته الثقافية والعلمية.

وفي هذا سنجد، أنه يتحدث عن فيزيائية مفاهيم ومصطلحات؛ الموج والارتداد والسحب والطغيان والظل، فالناقد هنا، إما أن يرسم لنا تشخيص الأشياء، بحركية يعبر عنها بألوان صافية نقية، أو ممزوجة بأخرى، فيُظهر لنا ما يناسب المختلف والمؤتلف لنفسه، ولنفس الشاعر، وكذلك إلى نفس القارئ المحايد.

يحاول روجر، في كتاب فيزيائية العقل البشري والعالم من منظورين، أن يكشف النقاب عن ملامح مشتركة بين الرياضيات والفيزياء والعقل البشري.

ويفسر روجر بأن عمليات التفكير الرياضي، – وبالمثل كل أنواع التفكير والسلوك الواعي–، تُنَفّذ عن طريق وسائل غير حسابية. وهذا مفتاح لغز بالغ الفائدة؛ لأن حدسنا يقول لنا: إن التنوع الهائل في مداركنا الواعية، هو أيضاً غير حسابي. (بنروز، وآخرون، فيزيائية العقل البشري والعالم من منظورين، ص 14)

□□□□ □□□□□ 21*28 2018.indd 18 8/18/18 4:16 PM

لذا نظر جداية إلى النص بنظرة الجمال، وترك وراءه نظرة القبح وغيرها. فاختار الصعب؛ لأن الجمال يصعب تحديده، ولكن باستطاعة النفوس أن تحس به، وتتذوقه من أدركته، وعندئذ تميل إليه، وتنجذب نحوه، وتأنس به، وترتاح إليه، وتسعد بالاستمتاع بلذة إحساس المشاعر به، ولو تخيلاً مكوناً صورته الذهنية.

إذن جداية لم يتخذ من الطرق المستخدمة، في وضع المصطلح الأدبي السبيل الأوحد؛ وإنما نظر إلى الآلية الإجرائية، من خلال عناصر علم المصطلح، التي تهتم بالعناصر المنطقية والوجودية، والعناصر اللسانية، من صوت وصرف ونحو ودلالة، واستخدم نوعاً من أنواع التوليد المصطلحي، وهو الاقتراض من علوم مختلفة، لبناء المصطلح المناسب للنص والصورة.

وكلما قدم جداية سؤالاً مفاهيمياً،
تقدم الجواب ضمنيّاً:

1- هل المفهوم قليل الظهور في القصيدة، أم أنّ النقاد لا يلتفتون لقيمة المفهوم في القصيدة؟

2- هل القصيدة المفاهيمية، هي القصيدة المثقفة التي حفظت القصيدة على مر التاريخ؟

3- كيف استطاعت المفاهيم، أنّ تولد الصور الفنية الجمالية، لتعبر عن الأحاسيس والمشاعر عند الشاعر والمتلقي؟ (جداية، عبد الرحيم، ملامح الشعر الأردني، ص 135).

ويقول جداية: «وللولوج إلى الدلالة المفاهيمية، لا بد من العودة للمعاجم والقراءة اللغوية، التي توصلنا إلى أقرب المفاهيم دلالة، من حيث التصوير الشعري للشخصية المفاهيمية، التي يمتلكها الشاعر إسلام علقم، صاحب الشخصية المتناسقة في الحوار والحديث العام، حيث التعالقات المفاهيمية حاضرة في ذهنه، مطلقا بعفوية المفكر والشاعر مفهوم (**التلوث النفسي**)، وهو صاحب الحاسة العالية، للغة ودلالاتها بمفهوم التلوث النفسي، وغيرها من المفاهيم الحاضرة في ذهنه, مما ساهم في تشكيل شعره مفاهيميا، في قصيدة مفاهيمية، تضمنها ديوان بين العشق والألم، للشاعر إسلام علقم.» (جداية، عبد الرحيم، ملامح الشعر الأردني، ص 136).

وهذا يسوقنا إلى تعدد التفسيرات في شأن اللغة، الذي لم يزل في حدوده الضيق من المعرفة، ولهذا استثمر جداية، مفهومي الحركة والسكون، في دراسة المنتج الشعوري المختزن بالذاكرة، والمنطلق مع الحلم مُشكلا تصورات جمالية، قابلة للتأويل في النص الشعري فيزيائياً، من خلال مفاهيم المسافة والسرعة والزمن، وهي العوامل التي تشكل الفضاء الشعري، عند الشاعر محمد مقدادي، في مجمل تجربته الشعرية الجمالية، المتشكلة حسياً وشعورياً، من مفردات وتراكيب وصور فنية، تعكس التجربة الجمالية الذاتية الداخلية، في حالتي الوعي واللاوعي، في مركباتها الكونية، بأبعاد المسافة والمساحة والحجم، التي يتشكل منها الفعل الجمالي الذاتي، والكوني في القصيدة الشعرية.

فجداية حاول أن يبحث عن المنطق والفلسفة والوجوديات؛ كي يُظهر للقارئ ما غاب عنه وما حضر، وهذه المجالات البحثية من علمية وأدبية، لم تكتمل في ذهن الكاتب والقارئ، لأن البحث في هذه الأشياء، تعد خروجاً عن المألوف، كما يخرج الشاعر عن المألوف؛ بانزياح، أو عدول، أو ضرورة، أو اضطرار، وبهذا يحمل الشاعر علينا إصراراً بحق شعره وبحق القارئ، فلا مجال إلا لتقديم الصورة الواضحة الجلية لكليهما.

□□□□ □□□□□ 21*28 2018.indd 19 8/18/18 4:16 PM

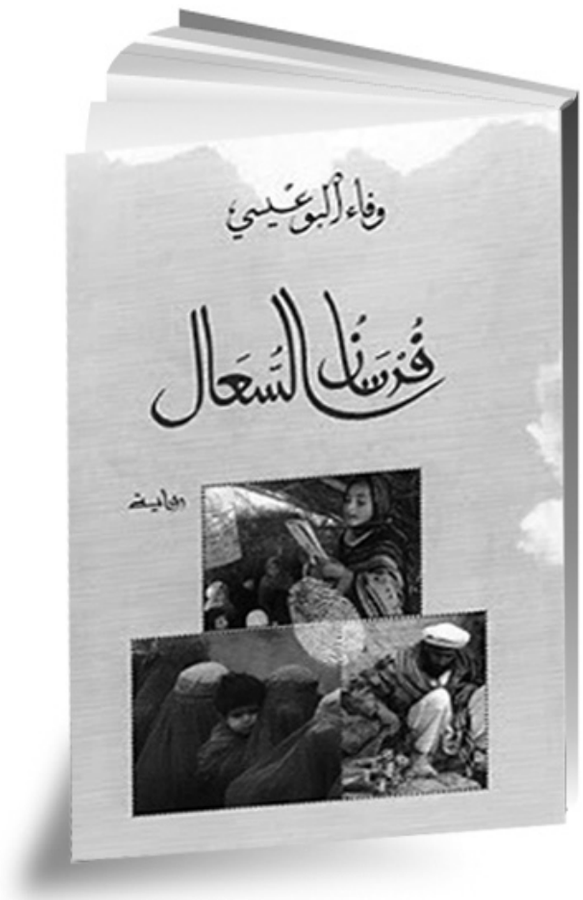

□□□□ □□□□□ 21*28 2018.indd 20 8/18/18 4:16 PM

رواية «فرسان السعال»

مدونة التفاصيل المرعبة عن الإرهاب،

لوفاء البوعيسى*

سمير أحمد الشريف

بعد روايتها «للجوع وجوه أخرى»، فجرت الكاتبة الليبية «وفاء البوعيسى «قنبلة أدبية وفكرية في روايتها الثانية «فرسان السعال»، التي صدرت عن الشركة التونسية للنشر في 240 صفحة من القطع الوسط، كان محورها الرئيس: العرب الأفغان والإرهاصات، التي جعلت من الجهاد إرهاباً، ومسرح أحداثها كل من أفغانستان وباكستان والسعودية واليمن والجزائر.

اجتهدت فيها كاتبتها بالوقوف على وثائق، وتتبعت حيوات الأشخاص، وأجرت مع الكثير منهم، لقاءات مباشرة، لتجمع المعلومات، التي أبدعتها في إطار سردي، اتخذ من المكان عنوانا لفصولها، ولتشكل صرخة مدوية تستنكر فيها، أن يتحول الإسلام - رسالة الله للبشرية - إلى عنوان للإرهاب ومحط أنظار الآخر، الذي صار يرانا بمنظار الشك والريبة وعدم الاطمئنان، لتشكل بعملها هذا، نداء للعمل على إعادة الصورة للإسلام، الذي حاول المتطرفون تشويهه بأفعالهم، وقناعاتهم وسلوكاتهم المريضة.

* وفاء البوعيسى: كاتبة ليبية

21*28 2018.indd 21 8/18/18 4:16 PM

يجد المتلقي لنص «فرسان السعال» تراجيديا حارقة، يختلط في أظافرها، الحب، والقتل، والفهم المغلوط للإسلام، والتشوهات الفكرية والنفسية، التي تبرعمت في أذهان الكثيرين من المنتسبين إليه، مسطر ذلك بلغة شاعرية موحية، تنسج من التشويق والإدهاش طريقا لوجدان القارئ، وتعمل على تضمين العديد من النصوص التراثية، والمعلومات الفقهية، والتفاسير لآيات القرآن الكريم، وتشتبك معها، وتقف على تماس مباشر مع حيوات شخصيات، كان وما زال لها دور، في تحريك الأحداث وصنعها، كأسامة بن لادن والظواهري، وغيرهم، مقارعة حجج من تنكبوا جادة الصواب، باعتماد الشاذ من الآراء، التي ذهب بها التطرف والقتل والكراهية، وتكفير المجتمع وإباحة القتل المجاني، أشواطا بعيدة في تطويع النصوص وتقويلها، بما ينافي رسالة الإسلام في الوسطية، والتسامح والمحبة ونبذ العنف، والتصدي لكل المقولات الخاطئة، بالإقناع والجدال العلمي المنهجي، وقبول الرأي الآخر.

هذا العمل الإبداعي الذي يُنظر له كتحليل دقيق وعميق، ومتابعة حثيثة للنظم التقليدية والتفكير المتعصب للرأي الأوحد، والتفسير الخاطئ للنصوص، يدور حول مجموعة متشابكة من الشخصيات الرجالية والنسائية، بدءاً من «أسامة الليبي»، ومروراً بالعسال - الخبير بالجماعات الإسلامية، ومراسل لصحيفة الفيغارو الفرنسية من الجزائر-، إضافة لزوجات المقاتلين اللواتي تقودهن الأفغانية «اناهيتاباكزاد»، ومحاولة التسلل إلى «بيشاور» لطلب اللجوء من الأمم المتحدة، بعد أن سيطرت طالبان على أجزاء من أفغانستان، وما نرى من أعمال، لمعصومة ولولوة، التي شهدت الأولى منهما، عمليات قتل السواح في اليمن، في حين قامت «لولوة» بمقاومة جماعة إرهابية، تحترف التكفير، وقتل رجال الأمن والشرطة.

في هذه الرواية، تقف بنا الكاتبة على تفاصيل مرعبة، يمكن الإشارة لها، كمدونة حقيقية للعنف، وملفات كاملة للتنظيمات ونشاطاتها السرية، مما يشير أن الكاتبة، قبل أن تعكف على معالجة نصها، وقفت على كثير من مراجع وكتابات فقهية وفتاوى لا حصر لها.

التهكم والسخرية مدخلان باديان على النص، منذ وقوفنا على عتباته الأولى والمتمثلة بالعنوان، حيث الإدهاش والمفارقة، فكيف يكون المرء فارسا ومصابا بالسعال؟ لهذا نسجل على الرواية، أنها نص سردي متقن وفيه جهد واضح، وضع ليكون وقفة جادة وعميقة بوجه التشويه، الذي طال الإسلام، بأفعال بعض منتسبيه، عبر قناعاتهم المشوهة، وأفعالهم التي لا تستند إلى توازن، أو حكمة، أو مرجعية فقهية متفق عليها.

المحوران الرئيسان في «فرسان السعال» يدوران بتداخل واعٍ مع أفعال «أسامة الليبي»، الذي حمل روحه على كفه، ميمماً جهة أفغانستان، مجاهداً ضد الوجود الشيوعي هناك، لكنه يُصدم بوجود دكاكين سياسية كثيرة، وفصائل متدابرة متناحرة حد الاقتتال، هذا المجاهد يقع في حب أرملة أفغانية، تتعرض للتهديد بحرق مدرستها من إحدى الفصائل، في حين تنعى الرواية أيضا التطرف، وما نتج من صراعات بعد الانتخابات الجزائرية، التي فاز بها الإسلاميون، وما تم من إلغاء الانتخابات وأعقبها من مجازر.

بطولات كثيرة تنازعت هذا العمل، حيث ظهر فيه الرسم الدقيق للشخصيات وتتبع أفعالها، إلى الاعتماد الكثيف على الوثائق، إلى القدرة على تصوير حجم الفاجعة التي وصلت بنا من التطرف، إلى ملامسة عناصر الطبيعة وجمالها الأخاذ، بشعرية تكتسي ملامح رومانسية جذابة.

□□□□ □□□□□ 21*28 2018.indd 22 8/18/18 4:16 PM

المفارقة والصدمة التي حملها العنوان المغلف بالسخرية والتهكم (فرسان السعال)، قادنا لسخرية أخرى، بعد أن عرّى النص، ظاهرة الانقسام الحاد بين المجاهدين العرب والأفغان، عندما تخلصت أفغانستان من الروس، ووقعت في حبائل الاقتتال، فريسة بين مدافع حكمتيار ورباني ومسعود، وتكفير بعضهم بعضاً، وأن طالبان تقتل وتتخلص من الجميع، مما يشير لقضية استيعاب الكاتبة لتاريخ أفغانستان المعاصر، ومعرفة بأبجديات الصراع بين الفصائل ودقائق حول قياداتها ونشأتها- نرى النص يسخر أيضاً، من جبروت الرجال وقسوتهم في تعاملهم مع نسائهم، (ص 68) اللواتي بدأن يتمردن، بأشكال وطرق شتى، لتبرز من بين ضباب القمع، المرأة الجديدة، (ص 14/12)، مما يعكس عمق المأساة الإنسانية من جانب، ووحشية تعامل الرجال مع غيرهم، ممن لا يلتقون معهم في وجهات النظر، وتصوير الوضع الشاذ للأفغان العرب، بعد انتهاء الحرب مع الروس، وكشف الحالة المزرية، التي تحياها المرأة.

على الجانب الفني، يمكننا ملاحظة قصر فصول النص، التي لا يتعدى أطوالها، ثماني صفحات، والاكتفاء برسم الشخصية من خارجها، والدقة في رسم ملامح البيئة الأفغانية، من تضاريسها ولباس مواطنيها وأسماء أشخاصها، (ص21)، دون التعمق في رسم الشخصيات من داخلها، ورصد انفعالاتها، وإقحام الكثير من الاستشهادات الفقهية داخل النص، كما يُحسب في رصد النص، إدارة الحوار وبلاغته وسلاسة لغته.

قُسمت فصول النص إلى مقاطع رقمية، لمسنا فيها نزوع نحو اللغة الايروتيكية. (ص 75)، كما ورد النص مسروداً، بلسان السارد الليبي، وحمل في ثناياه ألفاظا نربأ، أن تكون هناك في وصف المجاهدين، مهما كان موقفنا الفكري منهم ورأينا فيهم، وكذا الترويج لفقه اغتيال المناوئين (ص 87).

رغم وجود اللغة الشعرية، والوصف المتقن في الفصل الأول، تسللت لسطور النص، إنشائية وأسلوب الخبر، كما في الفصل الثاني، وامتدت العامية «الجزائرية» عند الحديث، عن كشف أوجاع الساحة الجزائرية، لدرجة أنها أغلقت على المتلقي فهمها، مما أدى إلى حاجته، لهوامش تفسيرية.

□□□□ □□□□□ 21*28 2018.indd 23 8/18/18 4:16 PM

□□□□ □□□□□ 21*28 2018.indd 24 8/18/18 4:16 PM

قراءة في بيان حركة نيسان الشعرية

د. خولة الشخاترة/ الأردن

حين أصدر يوسف الخال، بيانه الأول حول الشعر، ثم أتبعه بيانات أخرى؛ استذكر النقاد بيانات أندريه برايتون، كما يقول كمال خير بيك في كتابه حركة الحداثة في الشعر العربي.

وفي هذا المقام؛ لابد من استذكار البيانات الأخرى، التي تلت بيان يوسف الخال، وسبقت بيان حركة نيسان الشعرية، التي وقعها كل من الشاعر مهدي نصير، والناقد نضال القاسم، ود. سلطان الزغول: مثل بيان أدونيس حول الحداثة، وبيان محمد بنيس حول الكتابة.

□□□□ □□□□□ 21*28 2018.indd 25 8/18/18 4:16 PM

يعد بيان نيسان الشعري، استمراراً واستكمالاً للبيانات السابقة من رواد الحداثة، خاصة ممن يؤرقهم الشعر والحركة الشعرية، صحيح أن هذه البيانات لا سابق تنيسق بينها؛ لكنها في مجملها كانت تحمل هموما متشابهة، وتهدف إلى كتابة مغايرة... مع الإشارة إلى أن بيان يوسف الخال؛ ركز على الإنتاج الشعري في لبنان، وتجاهل، أو لم يشر إلى الإنتاج الشعري العربي عامة، وهذا القول ينسحب على بيان محمد بنيس، الذي ركز على الشعر المغربي، أما بيان شعراء حركة نيسان الشعرية؛ فهو ليس بمحلي خاص بالأردن، أو بلاد الشام؛ وإنما هي حركة شعرية عربية.

وما ورد في بيان الحركة، يذكر بما كتبته نازك الملائكة في مقدمة ديوانها «شظايا ورماد» عن الشعر العربي بعامة، وأي شعر عربي حديث نريد؟

هذه المحاولات الطموحة خطوة ثوية، تهدف إلى خلق تيار شعري ثوري، وتقدم رؤية جديدة للشعر وتصور واضحين له... وكما قال أدونيس بالاستناد إلى الشاعر (رنيه شارrene char)، عن الشعر «الكشف عن عالم يظل أبداً في حاجة إلى الكشف».

ولا نريد لهذه المحاولات أن تبقى محاولات، دون أن تتجسد تطبيقا في النقد والشعر... وألا تتحول إلى لحظة عابرة، مثل ظاهرة (الشعراء التموزيون)، التي قال عنها سامي مهدي بمقالة عام 16/11/ 2007؛ إنها مرت مروراً سريعاً، ثم تحولت إلى هيكل فارغ دون محتوى حقيقي.

بالعودة إلى بيان حركة نيسان الشعرية، فإن هذا البيان استمرار للبيانات السابقة، يتفاعل معها ويحاورها... ولعل أهم ما في هذا البيان «أن نعيد – وهذا دور الشعراء والنقاد – للشعر العربي مكانته التي تليق فيه؛ «لكن كان التركيز على دور الشعر نفسه، بوصفه نشيد للحرية والحياة والحب والجمال، وهو بحث عن قيمة لهذا العالم، وعن هذا الخواء والضجر اليومي المتكرر.

أما من حيث رؤية الحركة للشعر والشعرية:

فإنني سأتوقف عند بعض الأفكار التي طرحتها الحركة، وفق النقاط الآتية:

1- امتلاك الرؤية: وهذه الرؤية تمكنه، من تفكيك الظواهر والأحداث، وهذه تتطلب ثقافة عالية، والثقافة العالية وحدها مهمة جداً؛ لكنها من وجهة نظري لا تصنع شعراً؛ إذ لابد أن تتضافر هذه الثقافة، مع الموهبة والحساسية الشعرية. وكان شعراء الحداثة يطالبون الشاعر، بالتعبير عن روح العصر «بالروح العلمية التي غيرت نظر الإنسان إلى العالم، بعد أن غير الانسان موضعه فيه، فالعالم لم يعد نظاماً مطلقاً وجامداً؛ وإنما نظاماً دائم التطور» كما أشار أدونيس.

2- لغة الشعر: وعلاقة اللغة بالرؤية، هذه العلاقة مهمة لتحقيق الدهشة، وإحداث الدهشة حلم كل شاعر. لكن لابد من توافر شروط لتحقيق الهدف السابق، وله علاقة بالقوانين الخاصة بكل قصيدة إذا جاز التعبير، واللغة المناسبة لها، صحيح أنه من الصعب تحديد وتقنين هذه اللغة؛ لكن القصيدة الحديثة، بحاجة إلى لغة تعبر عن لا وعي الشاعر، ومكثفة تعبر عن رؤيته للكون والحياة. هذه معادلة صعبة، وقلة من الشعراء من يتمكن من تحقيق هذا، ويرتبط باللغة ورؤية الشاعر، توظيف الأسطورة، بما فيها من تكثيف وغموض، وتداخل مع عوالم أدبية وفنية أخرى. والشاعر حين يستحضر أسطورة لا يهدف إلى إعادة سردها، أو التذكير بها؛ وإنما يستحضرها؛ لأنها ترتبط بوشائج قوية، ووثيقة بالتاريخ، والحكاية الشعبية، وبما ترسب منها في أذهان الناس وعاداتهم وسلوكهم، وأحيانا ببعض العبارات التي ما زال يستخدمونها. كل هذا بحاجة إلى لغة موحية معبرة، ولها قدرة على الإدهاش، وإحداث العدوى مع المتلقين.

□□□□ □□□□□ 21*28 2018.indd 26 8/18/18 4:16 PM

3- الإيقاع الشعري: تتوقف هذه الحركة عند الإيقاع الشعري، وتتجاوز مجرد الوزن والقافية، إلى ما هو أبعد من الإيقاع الموسيقى، مع الإشارة إلى التشديد على إعادة قراءة جهد الخليل بن أحمد الذي جمد، وفق قوالب محددة لا يتجاوزها، والانطلاق منه إلى تجارب إيقاعية جديدة، وقصيدة النثر واحدة من هذه التجارب، التي شكلت قطيعة مطلقة مع بحور الخليل. على الرغم من الاعتراضات الكثيرة على قصيدة النثر، وما زالت تحارب... لغاية الآن، مع العلم أن الكثير من هذه التجارب، بعيدة كل البعد عن قصيدة النثر، والتجارب الجادة بحاجة إلى إعادة قراءتها مرات عديدة؛ لأن بعض الشعراء تنكبها استسهالاً، ولا يعلم الكثير منهم، أن قصيدة النثر خطوة جريئة، فيها الكثير من التجريب، وتتطلب تقنيات جديدة تغاير المألوف، والتجارب الشعرية التقليدية، هذا يعني فيما يعنيه، تحتاج الكثير من التجريب، والكثير من التجارب. يضاف إلى ما سبق؛ إن الإيقاع لا يقتصر على الموسيقى فقط؛ وإنما إشراك الحواس الأخرى، فلا تقتصر على حاسة السمع فقط؛ وإنما تتجاوزها إلى الحواس المختلفة عبر الإيحاء، وكثيراً ما تعبر الكلمة، أو الجمل الشعرية، أو التعبيرات عن ظلال أخرى، أبعد من مجرد تعدد الدلالات، إلى نقل أحاسيس ومشاعر يصعب التعبير عنها في كثير من الأحيان، بصورة شعرية موحية لا يمكن أن تنقل، أو يعبر عنها بالوسائل التقليدية.

4- إيروتيكية الشعر من وجهة نظر الحركة، أنه جوهر الشعر، وهي بالمعنى المجازي تارة، وبالمعنى الحقيقي تارة أخرى، وعلاقتها بالمرأة، وربما مقاربة، أو الفعل الشعري، يشبه الإيروتيك في كثير من أوجه؛ لأنه تجربة ذاتية خاصة وفردية ولا تتكرر، أو تستنسخ، والتعبير عنها بلغة شعرية.

5- هذه الحركة؛ تؤكد على الانفصال الناضج والاستقلال، ونضوج مع آباء الحداثة والأساتذة، مما يعني أنها بحث دائم عن التغيير، وعن التطور والتجريب.

6- إعادة الاعتبار؛ للعلاقة المهمة بين السرد والشعر، وإعادة الشعر إلى سياق السرد، وهذه تحتاج إلى كتابات جدية، تملك القدرة على استيعاب هذه التقنية، إذا جاز التعبير براعة، حتى يبقى للشعر كيانه الخاص، وللسرد أيضا تارة، ويتمازج الاثنان ويكونان نصوصاً جديدة، قد تبدو غريبة، لكن تمتلك روح الشعر، ولا تبتعد عن السرد، مع التذكير بظاهرة انتقال الشعراء من الشعر إلى السرد. علاقة الشعر بالسرد خاصة، مع تزايد الإنتاج السردي في السنوات الأخيرة.

□□□□ □□□□□ 21*28 2018.indd 27 8/18/18 4:16 PM

لوحة الفنان سامي غريبي/ تونس

□□□□ □□□□□ 21*28 2018.indd 28 8/18/18 4:16 PM

صور الغربة في القصّة النسائية

1- الاستلاب الموروث في قصة (الرجل): نوال السعداوي.

2- التمزّق والمسخ في قصة (سبعة أشهر): جواهر الرفايعة.

د. أحمد الزعبي/ الأردن

مقدمة:

الغربة في وجه من وجوهها الكثيرة، شعور ينتاب المرء بالإحباط والقلق والانسحاب؛ لأسباب كثيرة، منها؛ فقدان القدرة، أو الرغبة في التواصل، أو الانخراط في واقعه أو مجتمعه؛ فكرياً، أو عاطفياً، أو اجتماعياً، أو حضارياً، أو غير ذلك.

وإحساس المرأة بالغربة في القصص التي تتناولها هذه الدراسة، نابع من ظروف مختلفة ومفاهيم كثيرة، بعضها يتعلق بالموروث الاجتماعي والتاريخي والفكري والديني، وبعضها الآخر، يتعلق بطابع العصر وتحوّلاته واختلالاته وصراعاته المادية، والنفسية والحضارية. وكل هذه الظروف والمفاهيم القديمة والجديدة من جوانبها السلبية، أسهمت في تفتيت كثير من العلاقات الإنسانية، وأهدرت كثيراً من القيم المعنوية والروحية في هذا العصر، منها الغربة موضوع بحثنا هذا.

□□□□ □□□□□ 21*28 2018.indd 29 8/18/18 4:16 PM

1 ـ الاستلاب الموروث في قصة (الرجل) لنوال السعداوي. (1)

تتلخص هذه القصة، في اكتشاف الزوجة (خديجة) ذات يوم، خيانة زوجها (عشماوي)، وجهاً لوجه مع امرأة أخرى. إذ تفاجأ خديجة ذات يوم بزوجها وامرأة أخرى، عاريين فوق السرير. وتقف خديجة مشدوهة، وقد صعقها المنظر، فقد (استطاعت خديجة أن ترى المشهد العجيب، ربما لم تدرك تماماً أهو حلم أم حقيقة، لكنها كانت تراه بوضوح)(2). ومثلما صعقت خديجة، صعق عشماوي، الزوج، أيضاً لحظة اكتشافه، أن زوجته تقف فوق رأسه، وترى المشهد المأساوي المزري، (.. لأول وهلة أيضاً، اختلط الأمر على عشماوي، فلم يتأكد تماماً من أن هاتين العينين الجاحظتين المطلّتين عليه، هما عينا خديجة الغائرتين الضيقتين) (3).

وتتسمّر خديجة لحظات، أمام المشهد الصاعق، ويفرّ منها الخيال بعيداً، فتسترجع ذكرياتها الماضية مع زوجها، بحلوها ومرّها، وتعيد تفسير كثير من سلوكه ومواقفه وأفعاله، برؤية جديدة ترتبط بعالم الفضيحة، التي تتجمّد أمامها في هذه اللحظات.

وتدرك خديجة الآن، بعد استرجاع شريط الذكريات لسنوات خلت، أن عشماوي لم يكن صادقاً، أو مخلصاً، أو مستقيماً، لا في كلامه ولا سلوكه ولا تفكيره.

وخديجة الآن، تحت ضغط المأساة، لذا؛ ستقرأ تاريخ علاقتها بزوجها بشكل مختلف، وستغيب في هذه اللحظات أية ذكرى طيبة، حتى لو كانت فعلياً، وسيغيب أي موقف أصيل، حتى لو كان أصيلاً فعلياً.

إنها الآن، تقرأ تاريخ علاقتها بزوجها بمنظور آخر، يسيطر عليه الشك والسلبية والريبة. فعشماوي كان يكذب إذاً في عبارات الحب والغرام معها، وكان يكذب أيضاً، في عمله وطموحاته وأساليبه في الارتقاء بوظيفته.

فقد كان مهادناً مطيعاً خادماً لرؤسائه في العمل، (وقد أدرك عشماوي أن هناك ما هو أهم من الخبرة، ذلك أن يطيع الأوامر، خاصة كانت أم عامة. أحد المديرين؛ كان يرسله صباح كل يوم، ليوصل أطفاله إلى المدرسة. ومدير آخر؛ كان يترك له «المدام»، ليرافقها في جولاتها الشرائية ... وآخر...) (4).

وكانت خديجة، ترى في ذلك جزءاً من عمله، وحرصاً منه على توفير حياة زوجية مستقرة ناجحة. أما الآن؛ فإنها تدرك وصوليته وأنانيته، وأغراضه المشبوهة، وراء كل ذلك. فقد (كانت تنازلاته تزيد يوماً بعد يوم، ومكاسبه تزيد بنفس السرعة) (5).

وترجع خديجة، من رحلة الذكريات البعيدة القريبة تلك، وتعود من إبحارها في الماضي الحافل، بالحب والأحلام والكفاح، وقد أدركت أن هذا الماضي، كان حافلاً بالأوهام والنفاق والانتهازية والخديعة. تعود من كل هذا إلى المشهد المفجع أمام ناظريها، فزوجها وعشيقته يحاولان ستر جسديهما وفضيحتهما، وهي ما تزال متجمدة مكانها، تسترجع الماضي حيناً وتحدّق مشدوهة في الحاضر، حيناً آخر.

(1) الخيط والجدار، نوال السعداوي، ص 180
(2) المصدر نفسه، ص 181
(3) المصدر نفسه، ص 182
(4) المصدر نفسه ص 183
(5) المصدر نفسه ص 190.

□□□□ □□□□□ 21*28 2018.indd 30 8/18/18 4:16 PM

وفي نهاية القصة، والقارئ ينتظر؛ ردة فعل خديجة الزوجة، تجاه هذا المشهد القاسي، ويتصور مرة؛ أنها ستهجم على الرجل وغريمتها، وتنال منهما ما استطاعت، أو يتصور مرة أخرى، أنها ستصرخ بحدة وجنون، داعية لنشر الفضيحة والانتقام منهما، أو تصورات أخرى لا تنتهي، لكن النهاية لا تكون كذلك، إذا تتماسك خديجة، وتهدأ وتتقدم ببطء نحو زوجها، الذي كان يبكي «ندماً» وقد أحس بذنبه، تتقدم نحوه بعطف وإشفاق، (وكأنما نسيت كل ما رأت، كأنما اللحظات السابقة لم تكن، وكأنما كانت نائمة، وحلمت بكابوس، ثم استيقظت... ووجدت نفسها راكعة إلى جوار عشماوي، تربّت بيدها على وجهه، وتمسح بكفها دموعه، دموع عشماوي، زوجها، رجلها، مهما كان فهو رجلها، ودموعه تحزّ في نفسها كالسكين، مهما حدث فهو عشماوي، هو الوحيد الذي لها في هذه الدنيا. عشر سنين تحت سقف واحد... عشر سنين في الحلو المرّ معاً... أنهض يا عشماوي، وبيديها الاثنتين أخذت تلم ملابسه المبعثرة، وبيديها ألبسته البدلة...) (6).

من الواضح أن هذه النهاية الغريبة، تحمل في طياتها دلالات كثيرة، أرادت نوال السعداوي أن تثيرها، أو تفجرها دون الإفصاح عنها، بلغة مباشرة، إذ تترك الأحداث، تشع برموزها ودلالاتها المتخفية وراءها، وتترك النصوص الحاضرة، توحي وتشير وتضيء النصوص الغائبة، لاستحضارها عند الدرس والتحليل.

فالكاتبة تطرح قضية استلاب المرأة، في كثير من بقاع الوطن العربي. هذا الاستلاب، لحقوقها وحريتها واستقلالها وإنسانيتها ومشاعرها... هو الذي جعل خديجة في القصة، تقف لا حول لها ولا قوة أمام المشهد المأساوي، وهي تردد (إنه رجلها... إنه زوجها... وهو الوحيد الذي لها في هذا العالم)... مهما حدث... فخديجة ظل لعشماوي، ترى الكاتبة، والمرأة، في هذا السياق، تابع للرجل، إنها مسلوبة الإرادة والحرية والاستقلال، فقد ورثت من واقعها الاجتماعي، أن وجودها مرهون بوجود «رجلها» إن ضاع ضاعت، وإن تركها تشردت. فليس لها عند ذلك إلا (أن تركع إلى جواره) ، وتخفف عنه المصاب، وتستر هي عورته، ومن ثم تعود إلى عذابها الصامت، وإلى اكتئابها الدفين، وإلى غربتها الداخلية المريرة.

إن خديجة في القصة، نموذج للمرأة التي جردها، الواقع والموروث والتقاليد الخاطئة والمفاهيم غير المتوازنة، من معنى وجودها، وجرّدها من قدرتها على الفعل، أي فعل، وأخرجها عن طبيعتها وإنسانيتها، وجعلها تقبل صاغرة ذليلة هذه المهانات، باستلام وانكسار. فهي طائر، ترى الكاتبة، جناحاها الرجل، لا تطير إلا به، ولا تحيا إلا به، فلا مناص إذاً من التشبث به، مهما فعل دون قيد، أو شرط.

ونوال السعداوي، بالتأكيد تدين هذا الواقع المفجع، وترفض هذا الاستلاب المهين، الذي يفرض على قطاع عريض من النساء، في بيئات مختلفة. وما الصورة المفجعة لنموذج المرأة المستلبة التي تطرحها قصة (الرجل) هذه، إلا صرخة احتجاج، ضد القمع والمسخ، لإنسانية الإنسان وكيانه وحرّيته وقيمه وحقوقه الطبيعية.

(6) المصدر نفسه ص 192
(7) الغجر والصبية، جواهر الرفايعة / ص59

□□□□ □□□□□ 21*28 2018.indd 31 8/18/18 4:16 PM

2- التمزّق والمسخ في قصة (سبعة أشهر) لجواهر الرفايعة (7).

صورة أخرى من صور الغربة، التي تعاينها المرأة في مجتمع، وقف نموّه العقلي والحضاري عند القرون الوسطى، مع أنه شكلياً ينتمي إلى القرن العشرين، تطرحها جواهر الرفايعة في قصة (سبعة أشهر). فالمفهوم الموروث الراسخ في ذهن المجتمع، هو أن الذكر دائماً أفضل من الأنثى، منذ الولادة وحتى الموت، وإن أمنية الرجل، وحتى المرأة، هي أن يرزقا بطفل ذكر، وكأن هذا المفهوم لم يتغير من العصر الجاهلي.

تنطلق المؤلفة من أرضية هذا المفهوم، الذي توارثته الأجيال زمناً بعد زمن، حتى غدا صراعاً كامناً في اللاوعي، بين المرأة والرجل، الذي يظهر عند الصدام، أو التأزم، وفي مجتمع غير متطور، تدفع المرأة ثمن هذه المفاهيم الخاطئة بالدرجة الأولى.

فقصة (سبعة أشهر) تقدم مشهداً، لحالة ولادة متعسّرة مبكّرة مؤلمة... تتمزق المرأة خلالها، وتعتصر ألماً وتوجعاً، بينما الأسرة والزوج والمقرّبون يرددون «يا رب ولد... ولد...». وتختلط في ذهن البطلة في لحظات الولادة أصوات الأهل... وعضّات الألم وطنين الذكريات، حيث تسترجع المرأة بذاكرتها، صوراً من الماضي ذات علاقة، باستلاب المرأة وتهميش دورها، وربما إلغاء وجودها، فهي تتذكر أنه حتى في العمل السياسي تستبعد المرأة، وكأنها لا تصلح لمثل هذا الدور، تقول:

«أريد أن أكون معكم

ولكن الرئيس متعصب ضد المرأة، ويخاف من وجودها في الخلية.

لماذا ؟

يقول دائماً: صفعة واحدة كفيلة بإسقاطها وإسقاط الجميع» (8).

ويدور في ذهن البطلة، وهي على فراش الولادة، على طريقة تيار الوعي والاسترجاع، حوار رامز حول مفهوم التعصّب للذكر، والمواقف السلبية تجاه المرأة، تستذكر، وهي تغرس أظافرها في سرير الولادة، وتكتم صرخة موجعة، تقول: (والجنين، يتشكل بفوضوية في رحمي... ودعاءات ولد... يا رب، لماذا ؟ والدوامة ذاتها تصطخب في ذهني... عندما ولدت، غضب والدي، لأني جئت بعد بنت» (9).

والمؤلفة هنا تعرّي تخلّف المجتمع وتكلّس مفاهميه وافتقاره إلى أدنى مشاعر العطف، أو المواساة، أو المشاركة الوجدانية مع المرأة التي تموت ألماً ووجعاً في هذه اللحظات. لا أحد يكترث بحالتها.. كل ينتظر الولد.. الذكر وكأن المرأة هي المسؤولة عن ذلك، إنها وعاء.. رحم.. يقذف طفلاً وينسحب من المشهد حيث يبدأ الفرح والاحتفال بالطفل المولود دون أي اهتمام بها، أو بآلامها طيلة فترة الحمل والولادة، تقول: (أنا أنتفض.. يا رب ولد.. وأنا أموت.. يتسع الجرح.. الجنين أحسه ينفلت بسرعة.. وجه الطبيب يكفهر.. نساء حولي يصرخن بتقزز أحياناً.. وبشماتة أحيانا أخرى... ما هذا.. والطبيب يجيب في خيبة أمل: إنه مسخ» (10).

(8) المصدر نفسه ص 60
(9) المصدر نفسه ص 61
(10) المصدر نفسه ص 62

□□□□ □□□□□ 21*28 2018.indd 32 8/18/18 4:16 PM

إن المرأة لا تلد ذكراً ولا أنثى، إنها تلد مسخاً، فهل باستطاعة أحد أن يحدد جنس المولود. وليكن مسخاً إذاً، ليجسد حالة المسخ والبشاعة والخواء، التي تسيطر على ذهنية الإنسان المعاصر، خاصة في بيئات عربية غير نامية.

إن المرأة في قصة (سبعة أشهر) تعاني غربة عما حولها، غربة ذاتية نفسية تمزق عالمها الداخلي، وغربة، اجتماعية فكرية تفتت، كل جسور المحبة والتواصل، مع العامل الخارجي. إنها وحيدة في الزحام، غريبة بين أهلها ومجتمعها، ممسوخة كما يراد لها، فليكن المسخ إذاً؛ هو الصورة المناسبة الذي تقدّمه، لإنسان هذا العصر الذي يصرّ على الحياة، بذهنية القرون الوسطى، من ناحية، ولكي يحصد ما يزرع من ناحية أخرى.

وأخيراً؛ فإن المؤلفة تقدم احتجاجها وثورتها ورفضها، لمفاهيم بائدة تجاوزت، حدّتها ومأساويتها المجتمعات المتحضرة... تقدم هذا الاحتجاج من خلال المولود الممسوخ، الذي تقدمه لهذا المجتمع المتآكل. كما تبلور من خلال هذا المسخ، خطراً يتهدد هذا الواقع، وتبعث رسالة رامزة إلى هذا المجتمع، تتلخص في أنه طالما، ظلّت هذه المفاهيم سائدة، وطالما ظل الرجل لا يقبل، إلا بمولود ذكر، وقد يقبل البنت على مضض؛ لكنه «يسود وجهه وهو كظيم»، وأنه طالما ظلت المرأة هامشية مستلبة، تلد الأطفال، وتلزم المنزل فقط، فإن المسخ سيغطي على هذا الواقع، وإن التشويه سيستمر في الأجيال القادمة

لوحة الفنان هاني خزاعلة/ الأردن

□□□□ □□□□□ 21*28 2018.indd 33 8/18/18 4:16 PM

لوحة الفنان عبد الرحمن المزين/ فلسطين

□□□□ □□□□□ 21*28 2018.indd 34 8/18/18 4:16 PM

لن تعود البلادُ حتّى تعودوا

صلاح جرّار/ الأردن

أمـلٌ فـي نفوسنـا معقـودُ ... غالـه الدهْـرُ والأنـامُ رُقـودُ
حُلُـمٌ لـم يـزل يـراود ظنـي ... واستـوى فيـه سيّـدُ ومَسُـودُ
قـد طـواه الـزمـان طـيَّ بسـاطٍ ... وتجافـت عـن حامليـه الوعـودُ
يـا زمـان الـوداد أوجعْـتَ قلبـي ... غبْـتَ عنّـي غيـابَ مـن لا يعـودُ
كنـت أرنـو إلـيك والـدربُ عتْـمٌ ... وعلـى الـدرْبِ ظالـمٌ وحقـودُ
كنت أرجو الوصول والدمـع جـارٍ ... وعلـى الخطـو أعيـنٌ وقيـودُ
طـرقَ الأهْـلَ والديـارَ بـلاءٌ ... منـذ أن حلَّ في البـلادِ اليهـودُ
حـال بَيْنـي وبَيـنَ أحبـابِ قلبـي ... مـن قديـم حواجـزٌ وحـدود
ليس يرجـى إلى حمـاهم وصـولٌ ... كـلّ شـيء مـن الـخُطا معـدود
أيّهـا النـاسُ إنّمـا الأمـر صعـبٌ ... والدجـى عـمّ والجميـعُ شهـود
أيّهـا النـاس إنّهـا الـدار قفـرٌ ... نـزلتهـا أراذلٌ وقـرودُ
أيّهـا النـاس ليـس فينـا شجـاعٌ ... فاذهبـوا وحدكـم فإنّـا قعـودُ
وطـنٌ خـانـه الـرفـاق وغـابـت ... عـن حمـاه فـوارسٌ وأسـودُ
وطـنٌ يرقـب النجـاة ولكـن ... هجرتـه علـى الزمـان جـدودُ
كلّمـا مـرّ فـي الصباحـات طيـرٌ ... قنصتْـهُ بنـادقٌ وجنـودُ
رحـم اللّه والبـلاد أمـانٌ ... وبهـا النـاسُ ركّـعٌ وسُجـودُ
كلّمـا لاح فـي المرابـع غيـمٌ ... قلـت: ليـت السمـاءَ فيـها تـجودُ
إن تعـودوا إلـى الجهـاد تفـوزوا ... لـن تعـودَ البـلادُ حتّـى تعـودوا

□□□□ □□□□□ 21*28 2018.indd 35 8/18/18 4:16 PM

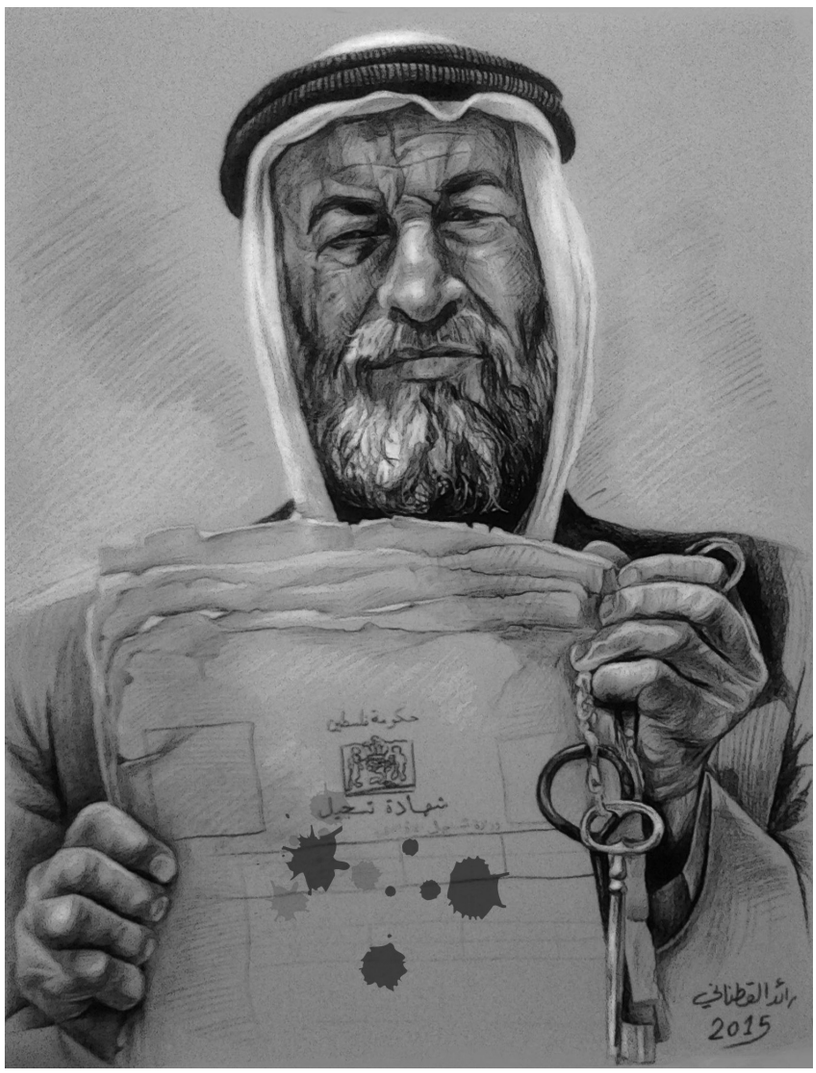

لوحة الفنان رائد قطناني/ الأردن

□□□□ □□□□□ 21*28 2018.indd 36 8/18/18 4:16 PM

القدسُ وجرحُ النكسة

محمد نصيف/ العراق

خمسونَ عاماً، وجرحُ القدسِ ما هَجَعَا ... وصمتُنا عنْ أذاها، زادَها وَجَعَا
خمسونَ عاماً، تداوي جُرحَ نكستِها ... وكمْ دعيٍّ بها، في طعنِها بَرَعَا
تنوحُ بالمسجدِ الأقصى، قصائدُنا ... نوحَ الحمامِ بنجوى حزنِهِ، سَجَعَا
نَمَا الحنينُ على أضلاعِنا شجراً، ... وكلُّ غصنٍ بهِ مِنْ دمعِنا، رَضَعَا
وكمْ مِنْ الوجدِ لمْ يطفأ بغيثِ منى، ... وكمْ مِنَ الشوقِ في أعماقِنا، قُمِعَا
وتلتظي حسراتُ الشوقِ في دمِنا، ... ضاقَ المدى بلظانا، قدرَ ما اتّسَعَا
مواكبُ الموتِ، ما زالتْ تطوفُ بها، ... وكلُّ ركنٍ بها مِنْ موتِها، شَبِعَا
فلا المواويلُ في أفراحِها صَدَحَتْ، ... ولا السلامُ إلى حاراتِها، رَجَعَا
والمدّعونَ افتتاناً في محبّتِها، ... صاروا لمِنْ سَرَقَوا أهدابَها، تَبَعَا
والنائحونَ على شكوى مواجعِها، ... يُمالئونَ الذي مِنْ لحمِها، قَطَعَا
والحارسونَ حِمَاها، والعدوُّ هُمُ، ... هُمُ الذينّ أحالوا أمنَها، فَزَعَا
فليسَ مِنْ زارعٍ حقلَ الحياةِ أذى، ... إلاّ جَنَى نَادماً، مِنْ مُرِّ ما زَرَعَا
خمسونَ عاماً، وبعضُ العربِ في سَفَهٍ، ... يستلطفونَ مِنَ الأفعالِ، ما شَنُعَا
ويُنغِضُونَ رؤوساً، ملؤُها عَفَنٌ، ... إنْ صاحبُ الحقِّ فينا للجهادِ دَعَا
فالراكعونَ على أعتابِ ذلّتِهِمْ، ... يغيظُهُمْ كلُّ رأسٍ، ظلَّ مُرْتَفِعَا
ويأملُونَ انتفاعاً مِنْ مذلَّتِهِمْ، ... هلْ مِنْ ذليلٍ حمَى مِنْ ذلّهِ انْتَفَعَا؟
فأضعفُ الحقِّ، ما يُعطى لطالبِهِ ... منّاً، وأصلبُهُ ما جاءَ مُنْتَزَعَا

□□□□ □□□□□ 21*28 2018.indd 37 8/18/18 4:16 PM

لوحة الفنان إبراهيم الزهاوي/ العراق

□□□□ □□□□□ 21*28 2018.indd 38 8/18/18 4:16 PM

أحلام مالحة

عبد الله المتقي / المغرب

أحيانا
... أحلم بالحرب كجنرال
يغلق الثكنة عليه تماما
خلف طاولة بحجم الأرض
يجلس كي يدخن غليونه الأمريكي
يحتسي الفودكا
ويفتش في خرائطه عن غابة
ينصب فخاخا للعصافير
وأحيانا ...
أجيد الأرق كشاعر يغلق عليه حلمه
وكعادة بروميتيوس يكوي أصابعه بنار المجاز
كي يترك لغبش الفجر
قصيدة تفرك عينيها من الأرق

□□□□ □□□□□ 21*28 2018.indd 39 8/18/18 4:16 PM

أحيانا . .
أقف أمام المرآة عاريا
أتذكرني جنينا
أو إنسانا بدائيا
لا يعرف سوى بعض الخرافة
ولا يفكر في الحرب
أحيانا ...
أخبئ حزني وكتاب «الحيوان» للجاحظ
في حقائب السفر
أغادرني إلي في الدرجة الأولى
من قطار الليل
كي أجدني في بيت طفولتي
الذي لم يعد طازجا
وكرائحة قهوة الصباح

أحيانا ...
أحلم بامرأة تضعني في فنجان قهوتها
وتحركني بمهل
كي ترتشفني باكرا
وأحيانا في الليل
كي تكتب قصائد
وتغلق عليها في خزائن الحلم

□□□□ □□□□□ 21*28 2018.indd 40 8/18/18 4:16 PM

أيَّتُهَا الكَثِيْفَةُ فِي رُؤايْ

علي شنينات/ الأردن

قُلْتُ آتِيْهَا بِبَعْضِ الوَرْدِ، مَغْرُوسَاً عَلَى سَطْحِ القَصِيْدَةِ...
قُلْتُ أبْنِي فِي مَدَارِ التَّيْهِ أعْشَاشَاً،
تُلَمْلِمُ رِيْشَنَا المَنْثُورَ عَلَى كَفِّ الرِّيَاحِ...
قُلْتُ لا بَأسَ،
لَوْ رَسَمْنَا فِي المَدَى وَطَنَاً عَلَى شَكْلِ قَلْبَيْنَا...
وَطَنَاً يُدَثِّرُنَا، لَوْ تَعَرّيْنَا فِي الغِيَابِ...
قُلْتُ أرْكُضُ فِي المَسَافَةِ بَيْنَنَا،
حِيْنَ تَتَّضِحُ الرُّؤى،
أوْ يَحْنُو عَلَيْنَا المُسْتَحِيْلُ...
قُلْتُ آتِيْهَا، وَأمْسَحُ عَتْمَهَا بِالضّوءِ،
وَأشْعِلُ بَينَ عَيْنَيْهَا سِرَاجَ الشِّعْرِ،
وَأغْفو مُتْعَبَاً،
حيْثُ لا أحَدَ سِوَايَ
يُدرِكُ كُنْهَهَا،
طِيْنَهَا، عِطْرَهَا،
أوْ يَعْرِفُ النُّدْبَةَ السَّوْدَاءَ عَلَى سَاقِهَا...
أنَا أحْفَظُ الأبْعَادَ بَينَ الأصَابِعِ إذْ حَرَّكَتْهَا فِي دَمِي،
وَأنَا أصَدِّقُ كِذْبَهَا،
وَأكَذِّبُ صِدْقَهَا، وَأذُوبُ فِي تَيْهٍ لَذِيْذٍ فِي التَّنَاقُضِ، حِيْنَ تَأتِي أوْ تَرُوحُ...

* * * * *

□□□□ □□□□□ 21*28 2018.indd 41 8/18/18 4:16 PM

أنْتِ الغَيْمُ...
وَأنْتِ قَطْرَةُ المَاءِ الوَاقِفَةْ...
وَعَلَى تَلَّةٍ فِي العَرَاءِ جَلَسْتُ أنَا،
أرْقُبُ الغَيْثَ
كَالعُشْبَةِ النَّاشِفَةْ...
بَيْنَنَا هَذَا المَدَى المُكْتَظُّ بِالتِّرْحَالِ فِي مَسَافَاتِ الظَّمَأ،
بَيْنَنَا شَغَفُ القَبِيْلَةِ بِالدِّمَاءِ، وَمَا
خَلَّفَتْهُ الزَّوَابِعُ مِنْ غُبَارٍ
عَلَى شُرُفَاتِنَا الخَائِفَةْ...
لَنَا شَحِيْحُ الأمْنِيَاتِ المُدْبِرَاتِ، وَمَا
بِجُعْبَةِ الشُّعَرَاءِ مِنْ حَظٍّ قَلِيْلٍ،
وَمَدٍّ فِي البَصِيْرَةِ،
وَانْزِيَاحٍ فِي العِبَارَةِ،
وَالخَيَالاتِ الزَّاحِفَةْ.
تَعَالَي أيَّتُهَا الكَثِيْفَةُ فِي رُؤَايْ،
أيَّتُها المُسْتَحِيْلَةُ فِي مَدَايْ،
تَعَالَي أيَّتُهَا الفِكْرَةُ النَّازِفَةْ...

* * * * *

هَلْ تَرَيْنِي...؟
وَأنَا ظِلُّكِ المُتَخَفِّي فِي امْتِدَادِ العِطْرِ،
كُلَّمَا اهْتَزَّ صَدْرُكِ فِي انْفِعَالِ الضِّحِكَات...!
هَلْ تَرَيْنِي...؟
وَأنَا اللَّوْنُ عَلَى فُسْتَانِكِ الغَجَرِيّ،
كُلَّمَا طَارَ مَعَ الرِّيْحِ طُرْتُ،
وَكُلَّمَا سَكَنَ عَلَى سَاقَيْكِ انْسَجَمْتُ،
وَذُبْتُ فِي كُلّ الْجِهَات...!

□□□□ □□□□□ 21*28 2018.indd 42 8/18/18 4:16 PM

هَلْ تَرَيْنِي...؟
وَأَنَا رَنَّةُ الخِلْخَالِ،
وَرَعْشَةُ القرْطَيْنِ فِي أذُنَيْكِ،
وَدَنْدَنَةُ الأسَاوِرِ فِي يَدَيْكِ النَّاعِمَات...!

* * * * *

تَعَالَي...
وَامْسَحِي عَنِّي دُمُوعِي...
وَاجْمَعِي فِي رَاحَتَيْكِ،
مَا تَنَاثَرَ مِنْ دَمِي،
أَوْ تَكَسَّرَ مِنْ ضُلُوعِي...
أنَا يَا ابْنَةَ الوَرْدِ،
حِينَ أتَيْتُ،
أزْهَرَتْ بَيْنَ عَيْنَيْكِ الحَدَائِقْ
وَأشْعَلْتُ فِي عَتْمَةِ اللَّيْلِ شُمُوعِي...
لا تَرْحَلِي...
ظَلِّي مَعِي...
ضُمِّي إلَيْكِ بَقَايَا هَيْكَلِي...
قَبِّلِيْنِي...
هَلْ كَانَ يُضْنِيْكِ رُجُوعي؟.
أيُّهَا البَحْرُ...
أيُّهَا المُمْتَدُّ مِنْ عَيْنِي لِعَيْنِي...
مَا الَّذِي أشْقَاكَ...؟
وَحَطَّمْتَ شِرَاعِي،
مَا الَّذِي أشْقَاكَ...؟
وَاغْتَلْتَ فِي هَدْأةِ الحُبِّ خُشُوعِي

□□□□ □□□□□ 21*28 2018.indd 43 8/18/18 4:16 PM

لوحة الفنان ناصر الضبيحي/ السعودية

□□□□ □□□□□ 21*28 2018.indd 44 8/18/18 4:16 PM

درويش

عصام الأشقر/ الأردن

قرِحتْ عيوني إذْ رأتْهُ مُمَدَدا، بالراية الغرَّاءِ مكْفوناً بَدا
وتلعثمتْ مني القوافي أقفرَتْ فالرُّزْءُ خرَّ على السطور مُمددا
وتمزَّقَت نُظُم الكلامِ حزينةً من بعد ما فقدتْ إماماً فرْقدا
يا سيِّدي يا سيِّدَ الكلمات عُد فالشعرُ إنْ غادرتَ ساحتَهُ غَدا
مثلَ الذي خلع الحياةَ وأهلَهُ، فالطيرُ إنْ فقد الجناحَ... تبددا
أنا إن رثيتك إنما أرثي غداً فَقَدَ الفصاحةَ والبيانَ وأَزْبَدا
قد ضاع جُلُّ الشِّعْرِ بعدَك وارتمى زَبَداً على ضُفَف البحار مسهّدا
حُزني تقاطرَ و العيونُ كليلةٌ فلقد تراءى فيك طغيانُ الردى
سهمٌ أصابَ فحزَّني في خافقي فأَسِدْتُ أبحثُ في الكلام مردِّدا
حتى وإنْ رقَّتْ حروفُكَ بعدها لن تسمعَ الأذنانِ إلاّ ما ٱبْتَدا
غضبٌ يدي من بعد غضبَتِكَ التي ثارتْ على ظلمِ الأقارب والعِدا
غضبٌ فمي مَلأَ الفضاءَ صهيلُهُ نفضَ الترابَ وهبَّ قامَ مُزغْرِدا
لن تسْمَعُوا الهمسَ اللذيذَ و طيبَه فعصيرُ أوردتي تَجهّزَ وارتدى
والنارُ شبّتْ في العروق وغَرَّدتْ والنارُ بالغضب ابتدتْ وبها اهتدى
هذي الحروفُ وغيرُها بعضُ الذي أنطقتَهُ... بالروحِ فينا تَخلَّدا
فلقد ربينا في زنازِنكَ التي ضاءَتْ وصوتُكَ يملؤُها صدى
حقٌّ علينا أن نُزاوجَ دمْعَنا مع فَقْدِ صوتِكَ غائباً، أو شاهدا
محمودُ شَعَّتْ من حروفِكَ أمَّةٌ عَلَتِ الفَضَا... والمجدُ فيها أمجَدا

□□□□ □□□□□ 21*28 2018.indd 45 8/18/18 4:16 PM

لوحة الفنان محمد الرباط/ مصر

□□□□ □□□□□ 21*28 2018.indd 46 8/18/18 4:16 PM

وجهٌ في المرآة

سميح الشريف/ الأردن

أنـا؛ لـم أكـن متماهيـاً بمـكان حتـى أكـفّ بـه عـن الـدّورانِ
مشـت الثوانـي بِـي، ولـم يعرفننـي وعرفتهـن، فقـد نخـرنَ كيانـي
يمشـــين آحـــاداً، فتـلك كذه، رسـمت علـى وجهـي، خطـوط بيـان
تمتـار مـن وجهـي، فـإنّ ودّعتهـا اسـتقبلت ثانيـةً بوجـهٍ ثـانِ
يـا لِـي، وهـذا الوجـه في أطـواره، مـن هـادمٍ فيـه، وآخـرَ بانـي
لـو كان في بعضـي لبعضـي صاحـبٌ، حفـظ الهـوى، لبكيتـه وبكانـي

* * *

أرنـو إليـه، وقـد كسـى قسـماتِه صـدأُ السـنين، وعتمـة الألـوان
وأرتنـيَ المـرآة مـن آثـاره طلـلاً، تهـدّم كالـح الجـدران
طوّفـتُ فيـه كالغريـب، فلـم أجـد سـمتي عليـه، ولا عرفـت مكانـي
سـاءلتُه إن كان يعـرف مـن أنـا، فأشـاح عنـي مُطبِـق الأجفـان
ودنـوتُ أجلـو مـن سـماتي مـا أرى، فيمـا بـه قـد تُخـدَع العينـان

□□□□ □□□□□ 21*28 2018.indd 47 8/18/18 4:16 PM

فلربّمـا، عينـاه مـن فـرط المـدى قـد كلّتـا، فكمـا أراه يرانـي
فلمحْـتُ عينيـه كصوّحـة وجهـه منـي وراء الدمـع تسـتتران
وكأنّ أطيـاف الزمـان تشـخصت صـوراً تودعـه بغيـر لسـان
وتفـكُّ أسـر زمانهـا ، فلطالمـا ضـاق الزمـانُ بصحبـة الأبـدان
مـن فـرط مـا احترقـت بـه لحظاتُـه ومشـت بعزتـه لأحفـر شـان

* * *

وتطـوف أبـكار الهـوى، ملتفّـةً مـن حولـه، كقلائـد العقيـان
هـذا الـذي، مـلأ المخـادع طيفُـه ليـلاً، بآهـاتٍ وخفْـق جَنـانِ
اللّه، كـم ذرفـت هـواه مدامـعٌ، فـإذا بـرى ذرفتْـه في الوجـدانِ

* * *

هـذا أنـا، وحـدي أهدهـدُ حزنـه بيـدي، وأمسـح دمعَـه ببنانـي
أحبُبْتُـه حتّـى أطيـقَ هوانـه وكرهتُـه حتّـى أُطيـقَ حنانـي
وأروض فيّ العاطفـات، فـلا أرى فـرق الكمـال بـه عـن النقصـان
عشـنا معـاً، زمـن البداهـة واحـداً، فـإذا بنـا لمـا تولّـى اثنـانِ
في عالـمٍ سـكن الخفـاءُ عبابـه، وكأنـه بحـرٌ بـلا شُـطْآن
نمشـي بـه حـذر الطريـدة، راعهـا أن لا تـرى فيـه مـكان أمـانِ
رحنـا نقلّبـه علـى صفحاتـه، فلقـد وجدنـاه بـلا عنـوان

□□□□ □□□□□ 21*28 2018.indd 48 8/18/18 4:16 PM

تثب الرّؤى ومضًا على آفاقه، متردّداً في البوح والكتمانِ
وكأنما العينان من سحر الرُّؤى فيه، تناقضتا بما تريان
هذي ترود السرَّ ترود خلف وميضه، وتدور تلك به مع اللمعانِ
كلتاهما، رأتاه في أُفُقيهما، فانجاب عن وجهٍ له أفقان

* * *

ونفيض دمعاً، لا محالة عائداً فينا، بأسماءٍ له ومعاني
خلع الحضور رداءَه، متمايزا بغيابه، وأقام في الأذهان
فوجدتُ ما أدميّتُ فيه ملامسي، سيّان في علمي وفي إيماني
وأروح بينهما، غِراراً لا أرى غيري، أُسائل منه ما هاذانِ
لا شيء يخفق في سمائهما، سوى همسِ الحياة، يذوب في الأكوان
والكائناتُ سجينةٌ في خلقها، عميتْ به عن رؤية السّجّانِ

* * *

أعرفتني؟، لا، فالرُّؤى بك صورتي، وأنا المشاعرُ حين أنت تُعاني
وأنا المفاتنُ فيك، حين جعلْتُها فرسَ الرِّهان، وقد خسرتُ رِهاني
ماذا بقي لي فيك من ماضٍ، سوى وهْم أذود بسحره، خذلاني
أنا يا رفيقي لستُ منك، وهالني أن يُخْلقَ الإنسانُ في الحيوانِ

□□□□ □□□□□ 21*28 2018.indd 49 8/18/18 4:16 PM

□□□□ □□□□□ 21*28 2018.indd 50 8/18/18 4:16 PM

لسْتُ بـراحلِ

شعر: عبدالناصر الجوهري

لأنَّ الهَـوى دومًـا، يـزورُ منـــازلي
لأنَّ الهَـوى في القلـبِ، أصبـحَ قاتلـي

سـأبقى علـى برِّ الحنـين، مُحـــدِّقًا
لعلَّـكِ؛ تنْويـن اللحـاقَ، بـــساحلي

لأنَّـك؛ سـرٌّ لا يغـــــادرُ خافقـي
لأنَّـك؛ نـايٌ يستثيـــــرُ أناملـي

سـأبقى؛ قريبًـا مـن عيونـــكِ، حالمًـا
سـأبقى؛ وفي الوجْـدِ نـارُ خمـــائلي

وددتُ اعتصـارَ الحُـــبِّ، حتـى شـغافهُ
وددتُ اصطحابَ الشِّـعْرِ، عند جنادلي

فأنتِ؛ غرسـتِ العِشْقَ، بين قصـائدي
جعلتِ الغـرامَ الحُلْوَ... وَحْـيَ تسـاؤلي

فمجنونـةٌ؛ أنـتِ، استبقـــتِ بلاغتـي
وكيـف لـذاك اللَّحـظِ، أوْدى بعـــاقلِ؟

إذا كنـتِ تنْويـن الفُـراقَ؛ فـــغادري؛
فـفي كلِّ وجْـهٍ؛ كم أراكِ... مُقـابلي

فلستُ أريد الهَجْرَ، ما خُنْـتُ مُهْجتي
ولسـتُ أخـاف اللـــومَ بـين قبائلـي

ولـو أنْـتِ – للتِّرحـالِ – أعْـددتِ عُـدَّةً
فإنِّـي؛ بـشطِّ الوصْـلِ، لسـتُ براحلِ

□□□□ □□□□□ 21*28 2018.indd 51 8/18/18 4:16 PM

□□□□ □□□□□ 21*28 2018.indd 52 8/18/18 4:16 PM

على وجْه سفر

راشد عيسى/ الأردن

قالَ: يبدو أنكَ اليومَ مسافرٌ!!
قلتُ: حقّاً
هيَ أمي ولدتني ذات سَهْوٍ بيضةً...
ثم فقَّسْتُ على خشْم جبلْ
فدعاني عمدةُ الطيرِ إلى مجلسِهِ...
وتولاَّني على ذمَّتِهِ ديكُ حَجَلْ
فَتَأَنْسْتُ على هيئةِ طائرْ.
وَتَعَوَّدْتُ أقانيمَ الهواءْ
وبشارات الجذورْ
وبلاغاتِ الحصى...
وترانيمَ السماءْ
وتدرَّبْتُ على كشف السرائرْ

□□□□ □□□□□ 21*28 2018.indd 53 8/18/18 4:16 PM

ثم لمَّا اشْتدَّ منقاري
وقوّتْ ربّةُ الريح جناحي
صرتُ صقراً عند عينِ الشمسِ
داري
وهديرُ الرعدِ يخشى سطوتي
والنجوم الزُّهْرُ تحبو بجواري
وتولَّيتُ قضاءَ الغابةِ الرعناءِ حتى
صرتُ فيها سيّد الرؤيا
وعرافَ البصائرْ.
ثم لمّا اشتاقت الأرضُ لعيني
ودنتْ دنيايَ مني
سرتُ حيث الحلم سائرْ
لم أكنْ أدري بأني
غبتُ عني
وجناحايَ اضْمَحَلاّ
وتكهَّفْتُ بصمتي حين صار
القلبُ كهْلا
وأمانيَّ مقابرْ

□□□□ □□□□□ 21*28 2018.indd 54 8/18/18 4:16 PM

هل تراها خافت الأرضُ اتّساعي
فَغَوَتْني؟
وَسَبَتْ مني ضفافي،
واصْطفتني لأناهيد المنافي،
وأباهيج الخسائرْ
فتكَوْثَرْتُ عليّْ
شلّتني فوق يَدَيّْ
وأَبي سلَّفني من عمرهِ عشْرَ سنينْ
ودعوتُ الطيرَ أن تلحقني
نحوَ معراج الحنينْ
فالسماواتُ بيوتُ الغرباءْ
وكراماتُ المُهاجِرْ
يا صديقي... قلتَ حقاً... فَيَدي تبدو على وجه سفرْ
منذ بيتي كان ثقباً في حجرْ
لستُ أدري هل تبقى فوق هذي الأرضِ ريحٌ
أو سماءٌ تشتري دمعَ مسافرْ؟
أم تراني فاتني الحجزُ
وخان العمرُ شُبَّاك التذاكرْ؟!!؟

21*28 2018.indd 55 8/18/18 4:16 PM

□□□□ □□□□□ 21*28 2018.indd 56 8/18/18 4:16 PM

دعاء الميدان

حسن طلب/ مصر

يا إِمامَ المَيادينِ زِدْ بِي
وزِدْنِي!
أنتَ يا كَعْبَتِي
وصَليبي
وحِصْني
بابُ حُرَّيتِي أنتَ..
أنتَ مَلاذِي ورُكْني
لا تَدعْنِي لِهؤلاءِ المَلاعينِ..
مَن ذا يُعينُ إذا لمْ تُعِنِّي!

ذُدْ أذَى هَؤلاءِ الطَّواغيتِ عنِّي
واصْرِفِ الآنَ كيْدَ الشَّياطِينِ..
إنِّي الذي لمْ يَخُنكَ..
فإنْ أنتَ أنْصَفْتني
لا تخُنِّي!
لسْتَ أنتَ الذى يُرتجى
إن نكثتَ العهود..
وخيَّبْتَ ظنِّي!

□□□□ □□□□□ 21*28 2018.indd 57 8/18/18 4:16 PM

يا بَديعَ العَناوينِ..
لا أنَا مِنْكَ إذا لمْ أكُنْكَ..
ولا أنتَ منِّي إذا لمْ تَكُنِّي!
فكَما زانَكَ الدَّمُ..
وهْوَ يَسيلُ علَى أطْهرِ التُّرْبِ
زِنِّي!
وإلى أيِّ أرضٍ سِوى هذِهِ لا تَكِلْنِي

لستُ في ساحةٍ غيرِ ساحِك بالمُطْمئِنِّ!
سيِّدِي أنتَ.. لا بلْ حَبيبي
أخِي وخَليلِي وخِدْنِي!
مِثلَما مِن قَديمِ الهموم اتَّخذْتُكَ
دُونَ المَيادينِ..
أنتَ اتَّخذْنِي!

وإذا بِعتَنِي
فلِمَنْ أرادُوا اغْتيالِي
وسفْكَ دمِي فوقَ تُرْبكَ يا صَاحِبي
لا تَبِعنِي!
يا بَديعَ الأَفانِينِ..
كمْ ألْهمتْنِي نَواصيكَ فنِّي!
يا سَميعَ المَساجِينِ
خلْفَ الزَّنازِينِ..
إنْ تَستمِعْ فُكَّ سَجْنِي!

□□□□ □□□□□ 21*28 2018.indd 58 8/18/18 4:16 PM

يا مَنيعَ المِساحةِ..
بلْ يا وَسيعَ السَّماحةِ..
إنِّي إذا ما مَدحْتُ المَيادينَ يومًا
فإيَّاكَ أَعْنِي
فتَجلَّ.. وبشِّرْ جنودَكَ بالنَّصرِ
لا تَتخَلَّ عنِ الثَّائرِ الحُرِّ..
لا أنتَ منْهُ إذا لمْ تَكُنْهُ..
ولا هُو منكَ إذا لمْ يَكُنْكَ!
إلى آخِرِ الشَّوْطِ خُذْهُ..
وخُذْني!
وبِما شئْتَ مِن نازلاتِ الزَّمانِ
اخْتَبرْنِي!

يا زعيمَ الميادينِ.. أنتَ المُنَى
والتَّمَنِّي
فوق أرضِكَ غنَّى الفؤادُ..
وباسْمِكَ طابَ التَّغنِّي!

فإذا مِتُّ مِن طَعنةٍ فوقَ أرضِكَ..
أو طلْقَةٍ
وارِنِي.. واحتَضِنِّي!
وعنِ العابِرِينَ على جُثَّتي
فلْتَصُنِّي
لستُ منكَ إذا لمْ أكنْكَ
ولا أنتَ منِّي إذا لم تَكُنِّي!

فلْتَهَبْني مكانًا يُرَى
مِن لَدُنْكَ..
أهَبْكَ زمانًا يَرَى مِن لَدُنِّي!

□□□□ □□□□□ 21*28 2018.indd 59 8/18/18 4:16 PM

□□□□ □□□□□ 21*28 2018.indd 60 8/18/18 4:16 PM

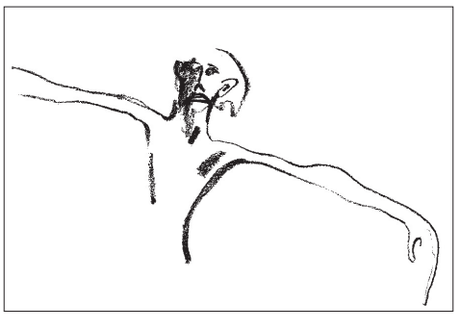

قصص قصيرة

د. أحمد يعقوب المجدوبة/ الأردن *

«في طائرة»

اهتزت الطائرة على نحو لم أعهده. اشتد قلقي، وهجمت عليّ مشاعر كسواد الليل القابع خلف النافذة. نظرت إلى الساعة التي كانت عقاربها؛ كأنها توقفت، فقدرت أنني يجب أن أحتمل هذا الرعب لنصف ساعة أخرى....

أقلعنا قبل ساعة ونصف في جوّ رملي عاصف. لم تتهادى الطائرة، ولم تسحب ذيلها اختيالا. وعندما وثبت كانت أجنحتها تهتز طوال الوقت على نحو مقلق. ولم تكن حيالي غادة. جلس بجانبي شاب يضع سماعات على أذنيه، يستمع ويضحك. أحضر لنا المضيف الطعام فاحتج الشاب على «الرز»: هذا الرز مو طيب». «هادا مش رز، هاي فريكة» أجاب المضيف.

«أنا ودّي رز». «كمان شوّي» قال المضيف الذي كان منهمكاً في توزيع الوجبات، محاولاً تثبيت نفسه. «طلبت رز» قال الشاب عندما مرّت مضيفة مسرعة نحو مقصورة درجة الأعمال. «شويّ». يستمع ويضحك، ويأكل الفريكة والدجاج. «وين الرز» قال الشاب عندما مرّ المضيف. «شويّ» ...

* كاتب أردني
القصة عن مجموعته "مواقف 3" وهي قيد الصدور ..

□□□□ □□□□□ 21*28 2018.indd 61 8/18/18 4:16 PM

نظرت من الشباك أبحث عن ضوء في الظلام الدامس، وهي أول علامة على قرب وصولنا، لكن لم أر سوى أضواء التحذير على أجنحة الطائرة تتراقص بجنون، كأنها نذير شؤم. حاولت القراءة لكنني لم أستطع التركيز. كان الشاب بجانبي يغط في نوم عميق، بعد أن أحضر له المضيف وجبة الرز باللحم والتهمها. عندما تكون الرحلة هادئة أكون في غاية الطمأنينة والسعادة. وهكذا أحب رتم حياتي: هدوء وسكينة وروتين جميل. عندما نعبر المطبات أتوتر؛ لا شيء أجمل وأثمن من السكينة؛ أكره الريح.

حمدت الله عندما هبطت الطائرة أخيراً. أفاق جاري من سباته، وعلى الفور أخرج هاتفه من جيبة. «شلونكو؟ ... كلّش زين... سهرانين؟... تعشيتوا؟... شنو الأكل؟... خليتولي»...

في الشقة جلست أمام التلفاز، بعد أن لم أستطع النوم، أتذكر آخر ربع ساعة من الرحلة، عندما لطّخ الطين زجاج النوافذ. ظاهرة غريبة: طين في السماء؟! قبل أن تحط الطائرة، ترنحت يميناً ويساراً من شدة الريح، وخلت أنها لن تتمكن من الهبوط، أو أن أجنحتها سترتطم بالأرض. أخذت أقلب محطات التلفاز، أستمع إلى ما آل إليه «ربيع» العرب، من فشل وبؤس وخراب وفوضى فكرية. أمة بلا وجهة. تهتز وتترنح؛ تعصف بها الرمال ويلطّخها الطين. أويت إلى الفراش، وصوت في يصرخ: يا صديقي، يا شاعرنا العتيد: أين الغيد؟ وأين قومنا الصيد؟ أين من حملوا الشرق، وتخطوا ملعب الغرب؟ أين بركة الصحراء، ومروءات الريح والرمال...؟

رومانسية مستعادة

عندما يكون الطقس مواتياً، أجلس في حديقة الشقة عصراً، أستجمع قواي بعد يوم شاق، وأصفي ذهني قبل الدخول لأخذ غفوة، ثم متابعة ما تبقى من المهام. ينضم إليّ أحياناً، فنجلس بصمت مستمتعين بالأجواء، نتحدث بين الفينة والأخرى. أسأله، فيجيبني إجابات قصيرة، كعادته. أسأله عن المدرسة، عن المدرسين الذين يحب، عن علاماته، عن المادة المفضلة لديه، عن الموضوع الذي يرغب بدراسته في الجامعة... سألته اليوم: صوت أي عصفور هذا؟ ابتسم متردداً...

كان بيتنا في الجزء الغربي من القرية، محاط بالعديد من المساحات الفارغة والكروم. وكانت الطيور والعصافير من أنواع شتى جزءاً أساسياً من حياتنا. تؤم الشجر بأعداد كبيرة، خاصةً قبيل المساء، تتجمع وتزقزق بصخب؛ ونصحو كل صباح على زقزقتها. نراها ظهراً تستفيء بظلال الشجر، أو حيطان البيوت المجاورة، وعصراً تقفز على الأرض، باحثة عن بقايا القمح، أو الشعير، أو الكرسنّة في أثناء موسم الحصاد. نرى الحسون بألوانه الباهية على الشجيرات، والقبرة ترفرف فوق العش، والنسر يحلق عالياً، فتهرب منه الأرانب والدجاج لتختبئ، ونرى الهدهد ينقر في سيقان الشجر، ونرى السنونو والسمّن والعندليب، والبلابل... ولما رحلنا وعشنا في شرق المدينة الصحراوي القاحل ذي الساحات الجرداء، لم نر إلا قلة منها؛ فقدناها مثلما فقدنا القرية، وكل ما فيها ...

□□□□ □□□□□ 21*28 2018.indd 62 8/18/18 4:16 PM

قلت له: هذا صوت البلبل. قال: إنه جميل. قلت: في القرية كانت العصافير وفيرة، وأكثر ما أحببت صوت القبرة واليمامة والبلبل. سألته: هل تعرف القبرة؟ وصفتها له، وقلت: القبرة كنا نشاهدها في السهول. نؤمّها في الصباح الباكر، أو بعد الظهر، وبعد أن نتعب نجلس في فيّ إحدى الصخور، أو الشجيرات، فنرى القبرة تحلق وتغرد. نحدّق فيها طويلاً مستمتعين بتحليقها، ومستمعين لصوتها الأخاذ. أما البلابل فكانت في حاكورة البيت، تنتقل بين الشجر في أزواج، تغرّد بصوت ساحر...

أصبح جلوسنا في الحديقة عادة؛ نشرب الشاي، ونرقب البلبلين يبنيان العش، ثم يطعمان فراخهما، ثم يطيّرانها. سررت بصحبته وحرصت على إعطائة انتباهي، فقريباً يغادرنا، يطير كما تطير العصافير. قلت له يوماً عندما حطّا على سلك الكهرباء يغردان: «الشجر الذي يزرعه سكان المدينة بكثرة جذب البلابل؛ هيّأ لها غرب المدينة البيئة التي لم يهيؤها لها شرقها؛ إنني سعيد بذلك.» ويح المكان الذي يخلو من العصافير...

لوحة الفنان ياسر وريكات/ الأردن

□□□□ □□□□□ 21*28 2018.indd 63 8/18/18 4:16 PM

لوحة الفنان إسماعيل شموط/فلسطين

□□□□ □□□□□ 21*28 2018.indd 64 8/18/18 4:16 PM

غيرة آدم

أكرم شلغين/ الأردن

كان آدم يقف كالتمثال بدون حراك أمام مدخل مبنى دار ثقافات العالم في برلين، تغطي عينيه نظارة سوداء عاتمة، ووجهه الذي لا يحيد يمنة، أو يسرة؛ لأنه لا يرى ما يجري على الساحة المقابلة، كان يشي بعدم الارتياح. في هذه الأثناء اقترب منه شاب عربي، وقال له: «صباح الخير يا آدم!» فأجابه: «صباح الخيرات» تابع المبادر بالكلام سائلاً: «هل عرفت من أنا؟» أجابه: «نعم... أنت أحمد، وصوتك مميز، وقد التقينا قبل ما يزيد عن الشهرين، حين كنت برفقة صديقنا جمال... لعلمك نادراً ما يخونني السمع في التعرف على من التقيتهم من قبل، حتى ولو لدقيقة واحدة، وعلى عجل، ولم نتحدث، وفقط كان الترحيب والسلام هما ما سمعت!» هكذا أجاب آدم الضرير، وبجوابه هذا حاز على اهتمام أحمد، فراح الأخير يسأله عن صحته وأحواله، وقد شكل ذلك الأمر نواة لمزيد من التواصل في الأيام التي تلت. بعدها تطورت تلك العلاقة، حيث دعا آدم أحمد، لزيارته في سكنه وسط المدينة.

عند زيارة أحمد الأولى، لاحظ وجود لوحتين على باب الشقة التي يسكنها صديقه، واحدة تحمل اسم آدم، والثانية تحمل اسماً ألمانياً لأنثى لقبها دكتورة، وبجانب الاسم الألماني، لوحة خشبية شبه دائرية، عُلقت بشريط أحمر، وقد حُفر عليها حرقاً، وباللغة الألمانية: «لا أريد سماع أسئلة حول حياتي التي أحبها، وتفاصيلها تخصني وحدي!» وفي سياق حديثه مع صديقه الكفيف، عرف منه أن الاسم الآخر، هو لزوجته وهي طبيبة ألمانية تعرف عليها، عندما جاء للعلاج في المستشفى الذي تعمل به، حيث كانت تشرف على علاجه، وبعد مدة تعلقت به، وتزوجا. ولفضول أحمد استرسل آدم أكثر، حيث شرح أنه لم يولد كفيفاً؛ بل فقد بصره وهو في سن السابعة.

حينها كان يذهب إلى المدرسة، مثل أولاد المخيم الذين يعانون معظمهم من الفقر المدقع، الذي نال من طفولتهم، وقد ساء وضعه أكثر من سواه؛

21*28 2018.indd 65 8/18/18 4:16 PM

لأن أحد المعلمين كان يعامله بوحشية إذ يرفسه، ويشتمه بعبارات مهينة، ربما أخفها بحسب قوله «يلعن أبوك ابن كلب»! تنهد آدم وهو يروي قائلاً: «لن أسامحه ولا سامحه الله، كان يتحالف مع الفقر ضدي، وأنا الصغير العاجز عن فعل أي شيء، حتى الشكوى لوالدي».

تكلم آدم بإطناب عن ظلم ذاك المعلم، وقال: «بعد هذه السنين الطويلة، وكل ما جرى لي، أؤكد لك أن ألم الرفسة (الشلوط)، ما زال أثره على ظهري وبقلبي.» توقف قليلاً عن الكلام، وكأنه كان يعيش بأحاسيسه في تلك الأوقات، وبعد دقائق قال: «لم يكن لدي مجالاً للهرب من المدرسة إلا الذهاب إلى الأماكن التي كان يتدرب بها الفدائيون، الذين راحوا يعلمونني فك وتركيب البندقية، ويطلعوني على ما بحوزتهم من متفجرات فكنت في غاية السعادة؛ لأنهم كانوا يعلمونني ما يعرفونه بدون ضرب؛ بل ويعطون ما لديهم، وهم مبتسمون ومازحون». «ذات مرة كنت ألعب بعبوة، فانفجرت فجأة ورحت بغيبوبة، لم أفق بعدها إلا في المشفى، وعيناي معصوبتان والشظايا تملأ جسدي. عندها فقدت بصري. لم أكن لأصدق أنني وبهذه البساطة فقدت بصري؛ كم من مرة ركضت وصرخت، أريد أن أرى، ودائما كنت أصطدم بشيء ما، فأقع وأبكي وأنتحب.

وكلما كبرت؛ كلما ازدادت آلامي وهمومي. كم من مرة كنت هادئاً، ألتمس طريقي حين لحقني الصغار، وراحوا يصرخون ورائي أعمى.. أعمى! كم من مرة رفعت رأسي نحو الأعلى وصرخت... يا الله أريد أن أرى النور من جديد، مثل بقية البشر. يا الله لم أفعل شيئاً أستحق المحاسبة عليه. ما زلت أشعر بألم الإصابة؛ ولكن آلام ما بعد الإصابة هي الأكبر. فكرت بالمستحيلات كي أستعيد بصري، وفي تفكيري بالمحال حلقت بخيالي في أماكن وفراغات، أعجز التكلم عنها.

صمت لبعض الوقت ثم تنهد، وقال: «بعد سنوات كانت هناك مدرسة مجانية في دمشق للمكفوفين، وكانت تقبل جميع المكفوفين، ومن أي بلد عربي كان، وليس السوريين فقط؛ إنني مدين لدمشق التي احتضنتني، التي تعلمت فيها الكثير، وفيها تعمق حبي للموسيقا، حيث كانت المدرسة تستضيف عازفاً سورياً كفيفاً هو الآخر، وقد كان بارعاً في تفاعله مع آلة الأكورديون، حيث يُدخل عزفه البهجة إلى القلوب ويؤنس وحشة فقدان البصر.» تبادل أحمد أحاديث مختلفة مع آدم وعرف منه أن الأخير، وبحكم وضعه الصحي، يعتمد في معيشته بالكامل على راتب زوجته الطبيبة التي تدفع كل نفقاته بحب غامر وصدر رحب.

بعد مضي ما يقارب الشهرين اتصل آدم بأحمد، داعياً إياه لزيارته وموضحاً أنه بمفرده في البيت؛ فتوجه لزيارة صديقه. عندما وصل رن جرس الباب، وانتظر لبضع دقائق؛ لأن صديقه الضرير، سيستغرق بعض الوقت ليفتح الباب، وأثناء ذلك ولدهشته، سمع بالإضافة لصوت صديقه صوتاً أنثوياً في الداخل، وعندما فتح الباب سمع من آدم التالي: «أهلاً وسهلاً انتظر قليلاً، ريثما تتنحى زوجتي، وتشغر المكان، فقد أتت اليوم قبل موعدها بساعات!» ثم طلب وباللغة الألمانية من زوجته أن تتسل إلى غرفة النوم كي يأذن لصديقه بالدخول. لم يكن ذلك المشهد بالعادي لأحمد، الذي وجد كل الغرابة، أولاً في أن يأمر آدم زوجته الألمانية أن تختبئ، وثانياً أن يكون من تختبئ منه صديقه تحديداً، وهو من دعاه ليزوره! لكنه لم يدل بأي تعليق حيال مسألة خاصة كهذه.

بعدها دخل أحمد، وسار هو وآدم ليجلسا في الغرفة التي كانا بها في المرة السابقة وراحا يتحدثان. بعد دقائق بانت الزوجة أمام الغرفة، وسألت: «آدم، ماذا أحضر لكما؟ قهوة؟ عصير أم ماذا؟» فارتفع صوت آدم، وهو يأمر زوجته، بأن تسرع إلى غرفتها دون أن يجيب عن سؤالها عما

□□□□ □□□□□ 21*28 2018.indd 66 8/18/18 4:16 PM

ينبغي تقديمه. فأسرعت لتختفي من المكان كي لا يراها أحمد. ومن جديد لم يعلّق أحمد على هذا التصرف؛ بل راح يغوص في تفكيره في ما حصل. مضى حوالي نصف ساعة، والزوجة في الغرفة الثانية، لا تنبت بأية كلمة، ولا يصدر عنها، أي صوت. ثم ظهرت لتقول لزوجها، بأنها ستخرج من البيت لبعض الوقت. لم يكن أحمد يفهم، أو يستطيع تبرير ما يراه ويسمعه، وفي ألمانيا تحديداً وليس في بلد عربي!

بعد مضي ما يقارب الشهر اتصل آدم بأحمد، وسأله أن يأتي لزيارته إذا استطاع، حاول أحمد الاعتذار؛ ولكن آدم كان يصر أن يراه، فهناك أمراً هاماً يريد أن يناقشه معه! امتثل أحمد على مضض لطلب آدم، مع أنه كان يخشى أن يتكرر مشهد الزيارة السابقة. في نفس الغرفة التي كانا يجلسان بها، راح آدم يحكي بقهر وحرقة عن أمر يؤرقه، وقال لأحمد: «إنني متأكد من أن ما سأستشيرك به سيبقى بيننا فقط.» وتابع قائلاً: «إنني أشك بأن هذه الألمانية التي تزوجتها، تخفي شيئاً عني، وأنا قلق جداً من هذا الوضع.» تردد قليلاً كمن يريد أن يكبت ما في صدره، ثم تابع: « كل من يراها تمسك بيدي في الطريق، من بين العرب الذين أعرفهم هنا، يقولون لي زوجتك جميلة، وحتى الألمان الذين يعرفون واحداً منا على الأقل، يعلقون بأنها جميلة. وأنا أسأل نفسي لماذا قبلت بالزواج مني، وهي طبيبة وجميلة!؟ أصبح هذا السؤال يؤرقني وأنا، بكل صراحة، أشك بها، وأظن أنّها تفعل شيئاً ما في الخفاء!» فسأله أحمد، وهل لديك مبرراتك لتشك بها وتظن أنها تفعل شيئاً في الخفاء؟ بعبارة أوضح، هل لحظت منها ما يثير شكوكك!؟ فقال: نعم. سأله أحمد أن يعطي أمثلة، أو وقائع، فقال: «أكبر واقعة هي تلك التي حدث جزءاً منها بحضورك في الزيارة الماضية، لقد تركت عملها باكراً وجاءت إلى البيت، وبررت ذلك أنها اشتاقت لي، وانشغل بالها عليّ، ولهذا استأذنتهم من عملها وأتت إليّ، وكما شهدتَ بنفسك، فلقد غادرت البيت، وأنت هنا! إلى أين غادرت!؟ أنا متأكد من أن ما قالته لي يومها، بأنها تحبني؛ إنما جاءت لتشتريني بالكلام، كي لا أسألها أي شيء!» وجد أحمد الغرابة في كل ما سمعه، وأراد أن يحكي، لكن آدم سأله من جديد: هل لك أن تفسر لي سبب وجودها معي، وهي جميلة، كما يقول كل من يراها!؟ أسألك هل هي حقاً جميلة أم أنها قبيحة الشكل!؟ هنا أصيب أحمد بصدمة فقال: «أعرف أنك سترتاح لو سمعت مني أنها قبيحة، والناس يقولون العكس مراضاة لك؛ ولكنني لن أكذب، بل سأقول عين الحقيقة. نعم إنها جميلة. وأما ما ترويه كمثال على شكوكك بها، فهو يدينك أكثر مما يجعل زوجتك مثاراً للشكوك. نعم جاءت إليك لأنها اشتاقت إليك، وهي تحبك ولكنها؛ وجدت أنك كرست وقتك حينها لصديقك الذي هو أنا، وبنفس الوقت أمرتها أن تختفي في غرفتها، وهي إنسانة ناضجة وليست طفلة، لحظتها لم يحن وقت النوم كي تنام، لقد كان عين الصواب أن تخرج، حتى ولو سارت في الشارع عندما لا يريدها زوجها، أن تظهر أمام صديقه، ولا يريد حتى أن يقبل منها، أن تقدم القهوة، أو الماء له ولصديقه! هذه ألمانية، وعاشت بحرية قبل أن تعرفك، ولم تسمع من قبل، أن عليها أن تختفي من البشر، وتنزوي من الأصدقاء، فهي موجودة، وإن قابلت الناس فلن تأكلهم، أو يأكلونها، هذه ليست امرأة عربية، وأنتما لستما في بلد عربي يا آدم!»، قاطعه آدم، وسأل بعصبية: «هل لك أن تفسر لماذا قبلت بالزواج مني؟ فأجابه أحمد: لا يوجد أي سبب يجبرها على الزواج منك، إلا الحب، وواضح أن عطفها عليك قد تحول إلى حب، ولهذا تزوجتك! إسمع يا آدم لن أخجل منك، ولن أجاملك في كلامي، لقد تزوجتك لا لمصلحة لها في ذلك، فلست مليونيراً تبزخ عليها بالأموال، بل هي من

□□□□ □□□□□ 21*28 2018.indd 67 8/18/18 4:16 PM

تمولك، وتعيلك في كل شيء. أنت في بيتها وليس العكس! وأؤكد أنها تزوجتك لأنها تحبك!» كانت أنفاس آدم تتصاعد... وهو يتابع بالكلام: «كل مرة أجلس بها مع صديقي ناصر، يتكلم لي عن أنه قادر على جلب أي ألمانية إلى فراشه، وأنا أحترق لسماع ذلك، ولا أستطيع النوم بعمق، بل أهبُّ عدة مرات مذعوراً أثناء الليل، متمنياً لو أنني كنت مبصراً، فزوجتي أيضاً ألمانية، وأتمنى لو أنني أتمكن من مراقبتها، والتأكد بنفسي من ذلك!».

قال أحمد بعصبية: «هل تلحظ أنك هنا تحتاج إلى معالجة نفسية. إن كنت أسيراً لما يقوله ناصر بعلاقتك مع زوجتك!؟ وبدون أن أعرف ناصر، فإنني أستطيع أن أجزم أنه مريض نفسياً، ومدع وأفّاك! وتأثيره عليك يحكي عنك، مثلما يحكي عنه، حين تريد التأكد من شيء ليس لديك دليل على حدوثه، وإنما تريد أن تلصق تهمة بزوجتك، وتريد إثباتها...! دعني أؤكد لك مرة أخرى، أنّ لا شيء يجبرها على أن تكون زوجتك، ومعك إلا الحب!»،

قال آدم: «الشك يقتلني فكل شيء يوحي، بأنها تخونني، هل قرأت ما هو مكتوب على الباب؟ أولا يدل ذلك على أنها تفعل الغلط، وتخونني وتكتب أن حياتها ملكها فقط، كي لا يلومها أحد على خيانتها!؟»

قال أحمد: «بئس ما تقوله وتتهمها به، فقد كتبت عن حياتها التي تملكها. وأما عن الغلط الذي تذكره أنت، أجل لقد فعلت الغلط بزواجها منك، حيث لا يوجد تكافؤ بينكما، وفقاً لكثير من الأعراف والتقاليد، ومنها ذلك الذي يخصنا نحن كعرب، ننتمي لثقافة تتنوع حتى ليتبعك بها الصغار، ويعيّرونك أعمى أعمى! آدم، إنها كتبت تلك العبارة، كي تكتم أفواه الفضوليين والمتسائلين عنكما، إنها تريد أن تتجنب الأسئلة عن زواجها منك. آدم، إن مشكلتك مضاعفة، فأنت لم تعرف الحب في صغرك، كي تقدر من يحبك في كبرك، ولم تر حتى من معلمك، وأنت طفل، إلا القسوة والشتائم والضرب، أنت تنتمي لمجتمع يختلف بثقافته، لقد ولدت وعشت سنين طويلة في مجتمع يتبنى من يقتل، مجتمع يحابي من يكره، ويحارب من يحب، لن تفهم أنها تحبك؛ لأنك لم تعش الحب، ولم تجده من قبل، ولهذا تستغرب أن تحبك طبيبة وجميلة وتتزوجك...، يا آدم أكرر لك من جديد، لا داعي لهذه المخلوقة أن تعيش معك، إن لم تكن تحبك فلست ولي نعمتها، أو أنك تغدق عليها بالأموال، هذه ألمانية لا تكذب، وليس هناك ما يجبرها على العيش معك؛ إلا الحب، وهي لن تدعي الحب إن لم تكن تعنيه.

أما لماذا أحبّتك تلك المسكينة، فهي الوحيدة القادرة على فهم ذلك»، «آدم، أتمنى من كل قلبي أن تريح نفسك من هذه الأوهام، وتقدّر حب زوجتك لك، وما تفعله من أجلك.» بعد حديث طويل، شعر أحمد أنه هدر وقته سدى، مع من لا يريد أن يحيد تفكيره عن الشك، ووهم خيانة زوجته.

مر وقت طويل لم يزر فيها أحمد آدم، وكل مرة يسمع فيها صوته عبر الهاتف، يعتذر عن اللقاء؛ لأنه مشغول. بعد بضعة أشهر اتصل آدم بأحمد، ليخبره أنه طلق زوجته، وهو يبحث عن فتاة أخرى!

□□□□ □□□□□ 21*28 2018.indd 68 8/18/18 4:16 PM

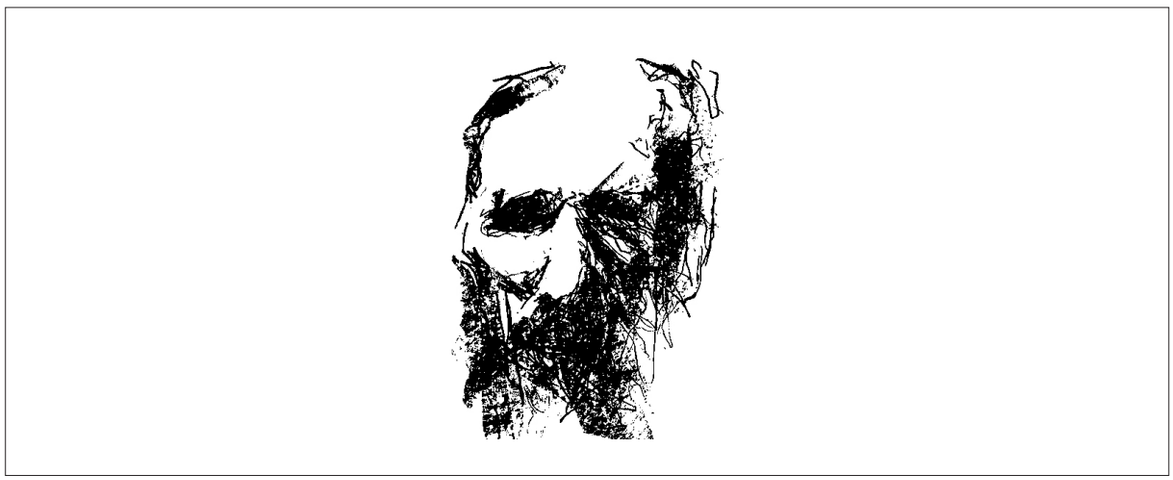

شرنقة

محمد درويش عواد/ الأردن

يدخل عالمه متوجّساً من مرفأ ذاكرته الذي اعتاد أن يقف به حيث لا يريد، فهو يدرك تماماً، أن عقله ما زال قادراً على الولوج في خفايا النفوس، وكشف مكنوناتها...

مجنون، هكذا أطلق عليه الآخرون، الذين يرون في أقواله وأعماله، ما يشبه الأساطير والخرافات التي لا يمكن تصديقها. كان يلج في أعماق النفس البشرية، فيقرأ تفاصيلها بدقة متناهية، ويفضح كذبها. تلك النفوس التي اعتادت شفاه وعيون أصحابها أن تُظهرهم بمظهر القدّيسين والنّساك...

حامد، ابن الثلاثين ربيعاً، كان حامداً لله، شاكراً نِعمه عليه، فقير الحال، ترتجف أوصاله عندما يرى النفوس المريضة تختال أمام ناظريه، فيحاول ترويضها بعد أن يرصد تحركاتها. يحاول أن يغتال الكذب والنفاق القابعين في نفوسهم، فتتشاءب كلماته، وتسترخي على قلوبهم دون جدوى.

تلكّأ الليل قليلاً، لكنه جاء أخيراً، جاء يوقظ ما هجع في ذاكرته من حلم التغيير. تغيير ما في نفوس البشر من أحقاد، هكذا قال في نفسه، بعد أن ألقى بجسده على سريره، يحفّه التّعب من كل الجهات.

□□□□ □□□□□ 21*28 2018.indd 69 8/18/18 4:16 PM

أطلّ الصباح حاملاً معه شعلة التغيير، التي أعلنها حامد في داخله. الناس يلتفّون حوله بعد أن سمعوا صراخه عالياً: أيها الناس... يا أهالي الحي الكرام، عودوا إلى الله، عودوا إلى طبيعتكم البريئة، عودوا أطفالاً كما كنتم؛ فالطفولة فرح وصدق وعفوية، اقلعوا الشرّ من نفوسكم وازرعوها بالخير، ماذا صنعت بكم قلوبكم المريضة ؟! استعيروا من قوس قزح ألوانه الزاهية، وانثروها في الفضاء الرّحب، لترسم حياتكم بالسعادة والنقاء، اطردوا أفاعي الشرّ من بيوتكم، لا تتركوها تأكل من طعامكم، وتلبس من ثيابكم، أزيلوا الصدأ الذي غلّف عقولكم منذ سنين، ...

مجنون، أمسكوا به...

لنأخذه إلى مصحّة للأمراض العقليّة...

مسكين، يظنّ نفسه نبيّ هذا العصر...

أفاعي الشرّ... من يقصد ؟

تعاون النّاس على طرد الشرّ من حيّهم ؛ فالتّعاون فيه مصلحتهم، حملوه بالقوة إلى المصحّة، وأدلوا بشهاداتهم أمام مديرها، فوُضع في غرفة معزولة عن الجميع. صرخ حامد بأعلى صوته، لكن الصدى أبى أن يردّ عليه وهجره وحيداً. تجمّع الأطباء حوله، وراح النوم يغلبه شيئاً فشيئاً بعد إبرة مهدّئة.

أطلّ الصباح كاسف اللون حزيناً، يعتصر قلبه أسى على حامد؛ فهو صديقه الوحيد الذي يشبهه في كل شيء: لونه، نقاء سريرته، صدقه، وضوحه، في كل شيء يشبهه. تنهّد حامد عندما رآه واقفاً أمامه، افترّت من شفتيه ابتسامة جميلة، وقال: لا تخف يا حامد... لا تخف يا بني... تجمّل بالصبر...

طاف حامد أرجاء المصحّة، حاور أشخاصها؛ لكنّ كلاً منهم تشبّث بعالمه الخاص، كشجرة لبلاب وحيدة راحت تُسامر جدران بيت حبيبٍ غادره منذ زمن بعيد، لا أحد يسمع، لا أحد يرى، رأى دودة قزّ تدخل شرنقتها بتخفّ شديد، تحمل معها انسياب الحياة وعفويّتها، حمل عفويّته، وسار إليها متوشّحاً بدثار قمرٍ منير، راح يغازل ليله الضّرير، دخل معها غازلاً من أفكاره التأمليّة شرنقته.

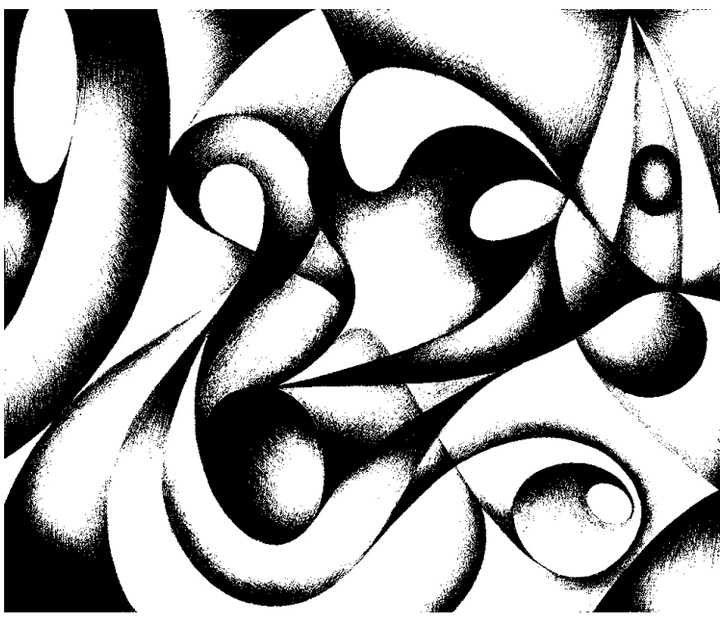

□□□□ □□□□□ 21*28 2018.indd 70 8/18/18 4:16 PM

قصص قصيرة جداً

جلّ نار زين/ الأردن

1- إنسانية:

القائد الذي أعطى الأمر، كان أصم وأعمى،
الجندي الذي أطلق النار كانت ملامح وجهه باهتة،
وحدها القذيفة التي قطّعت أوصال الطفل،
انفجرت حزناً وكمداً.

2- علاج:

نزعت الطبيبة نظارتها بعد أن أطالت النظر في فحوصاتي وقالت بلهجة حازمة: إن واصلت حياتك هكذا فستموت قريبًا، أرح قلبك، وتخلّص من كل ما يزعجك.

تبسمتُ، هززت رأسي موافقًا ثم خلعته، وضعته أمامها، ومضيتُ خفيفًا.

3- تفاؤل:

يقولون: إن الحياة جميلة، لكن علينا ألا ننظر إليها من خلال نافذة متسخة!

يقول طفلٌ لآخر يجلس فوق كومة أحجار، كنت لأفعل ذلك، لو أن الحياة أبقت لي نافذة أنظر إليها من خلالها، أو سقفًا.

4- صفعة:

أكره تلك الكائنات الطفيلية البائسة، التي تحاول التسلق على كتفي، لتحقيق أهدافها الضحلة، وتصيب مجدًا زائفًا.

ولكن سيدي؛ ليس لديك كتفان، ولا رقبة.

5- حكمة:

«كلما رتقت ثوبي من جهة، تمزق من الأخرى، لم يعد يهمني عدد الرقع، كل ما يقلقني هو نفاد الخيط!»

تحدّث سيدة أخرى منهمكة في شرب فنجان قهوتها.

6- تدريب ناجح:

كم أكره مدربي التنمية البشرية،
ظلوا يرددون أمامي: أطلق العملاق الذي في داخلك.
وهل نجحت؟
نعم، وها هو يجثم فوق صدري!

21*28 2018.indd 71 8/18/18 4:16 PM

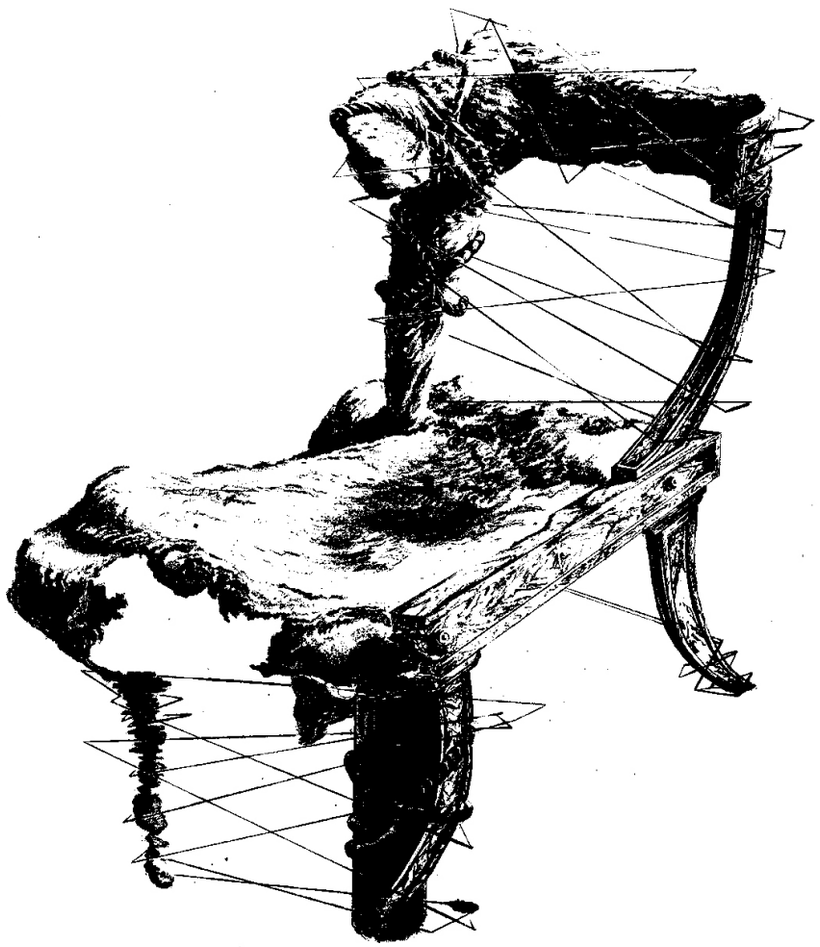

□□□□ □□□□□ 21*28 2018.indd 72 8/18/18 4:16 PM

موتى بلا قبور

حسام الرشيد/ رلأردن

قـرّر المجلس البلدي استملاك الجزء الغربي من المقبرة القديمة في البلدة، وبناء متنزه على ربوته المرتفعة ذات الإطلالة الخلابة، ألصق قرار الاستملاك على مدخل البلدية، حتى يعلم به أهل البلدة جميعهم، فوقع الخبر عليهم وقوع الصاعقة، والمقبرة تضمّ رفات آبائهم وأجدادهم.

□□□□ □□□□□ 21*28 2018.indd 73 8/18/18 4:16 PM

قالوا مصعوقين:

– موتى بلا قبور!...

في خطبة الجمعة وقف الشيخ على المنبر، كان الغضب يفترش قسمات وجهه، وهو يلعن كلّ من تُسول له نفسه المساس بحرمة الأموات، كانت نبرة صوته ترتفع حدتها، وهو يتوعّد بأن من يُقدم على هذه الفعلة النكراء، هو خارج عن ملّة المسلمين، وسنكون له بالمرصاد.

المقبرة تحدق بالجامع من جهاته الأربع، حيث تطلّ نوافذه المؤطرة بحجارة الجرانيب على الفسحة الترابية، التي تضم السواد الأعظم من القبور، التي اندثرت شواهدها، وغطّتها الحشائش اليابسة، حتى كادت معالمها أن تختفي، اعتاد المصلون عقب صلاة الجمعة، الخروج من صحن الجامع إلى المقبرة، يقرؤون الفاتحة على أرواح أمواتهم، الكثير من القبور لم يُستدل عليها، حتى الحجارة الدكناء المرصوفة حولها، مع مرور الزمن تحرّكت عن مواضعها، واختلطت بسواها من الأحجار، مما جعل الوصول إلى قبر بعينه، مجازفة غير مأمونة العواقب.

بعد صلاة الجمعة، خرج المصلّون من الجامع، اقترب المختار من قبر والده، قرفص على رأس القبر، وقرأ الفاتحة على روحه، أحد العجائز اقترب منه، ربت على كتفه، امتشق المختار قامته المتهدلة، وجعل يبحلق في وجه العجوز باستغراب، الذي بدا له كوجه غراب طاعن في الشؤم.

قال العجوز للمختار وهو يعبث بلحيته الإبرية:

– أنسيت قبر والدك؟

– هذا هو قبره.

– قبر والدك شرق التينة.

– أليس هذا القبر شرقها.

– بلى.

– وإذن.

– شرق التينة بمحاذاة السور.

شيخ الجامع تجوّل بين القبور، وهو يرفع ذيل عباءته بلونها القمردين، كان يشير بسبابته إلى القبور التي ستكون نهبا لجرافات البلدية، حبّات العرق تنزلق على صدغيه، يمسحها بذؤابة عمامته البيضاء، تحلّق المصلون حوله بعد أن قرؤوا الفاتحة على أرواح موتاهم، علامات الاحتقان تعربشت قسمات وجوههم، وارتفعت أصواتهم، كأنها أصوات آساد تجأر في عرانينها.

المختار والعجوز كانا يقفان إلى جانب شيخ الجامع، يستحثّانه على أن يدلي بدلوه، وهو ذو رأي مسموع من أهل البلدة. قال شيخ الجامع والعرق ينصبُّ على جبينه وعينيه:

– سأذهب إلى المجلس البلدي غدا.

صاح المصلّون بصوت واحد:

– ونحن معك.

العجوز في هذه الأثناء، كان يضحك في سره، والمجلس البلدي بات قرار الاستملاك، الذي اتخذه بحكم القضاء المبرم الذي لا رجعة عنه، رفع شيخ الجامع يديه عالياً، وطفق يدعو بالموت على كل من يلحق الأذى بمقابر المسلمين، اختلطت الأصوات بعضها ببعض، واندفعت كريات الغضب في الشرايين، اندفاع ثيران هائجة في حلبة سباق.

□□□□ □□□□□ 21*28 2018.indd 74 8/18/18 4:16 PM

هزّ العجوز رأسه السمين، وقال بصوته الواهن:

- بأرواحنا سندافع عن المقبرة.

وعلت الأصوات مهللة مكبرة، إلا صوت المختار، كان خامداً، كأنه صدى لعابر في سراب بقيعة، وهؤلاء المساكين لن يفعلوا شيئا أمام أسنان الجرافات الفولاذية، والأهمّ من هذا، إنّ قبر والده إن صحّت رواية العجوز الخرف، سيكون بمنأى عن القبور التي يشملها قرار الاستملاك، فهو ينحرف شرقا بمقدار أربعة أمتار عن الجهة الغربية، والمسافة قطريا بين التينة الجرداء والسور، ربما تزيد عن ذلك.

بخفي حنين عاد شيخ الجامع من المجلس البلدي، توجّه من فوره إلى المختار، فأخبره بما جرى في المجلس البلدي، قال لهم، فلتكن فتوى بيني وبينكم، للأموات حرمة فلا تنتهكوها، ضربوا بكلامه عرض الحائط، وعظام الأموات في المقبرة القديمة صارت مكاحل، وقد مرّت عقود على دفن آخر الموتى في المقبرة.

في اليوم المشؤوم جاءت الجرافات العملاقة إلى المقبرة القديمة، هادرة بقرقعة أصواتها المزلزلة، شيخ الجامع والعجوز وأهل البلدة، وقفوا في مواجهة تلك الآلات الفولاذية ذات الأسنان القاضمة للأخضر واليابس، فيما كان المختار يجلس خلف سور المقبرة، متواريا خلف شجرة توت عملاقة، يراقب عن كثب ما سيحدث بعينين هازئتين.

واندفعت الجرافات نحوهم فتراجعوا القهقرى، وسرعان ما غرزت إحداها أسنانها في التراب، فقلبته، تساقطت الأحجار كأنها حبات مسبحة انفرطت، فتفرقوا في أرجاء المقبرة، وهم يصرخون بغضب انفلت من عقال حناجرهم.

بلا سابق إنذار، حدث ما لم يكن متوقعا، فقد توقفت إحدى الجرافات عن العمل، حين اصطدمت أسنانها الفولاذية بشيء ما، للوهلة الأولى، كان الظن أن أسنان الجرافة ربما اصطدمت بصخرة كبيرة، لكن حين توقفت عن العمل، وخمد صوت محركها، في شيء من الذهول اندفع نفر من أهل البلدة نحوها، لكن سائق الجرافة، ذا السحنة المتجهمة أشار لهم بالابتعاد، فابتعدوا لا يلوون على شيء، شيخ الجامع صاح بهم بالوقوف على سور المقبرة، خشية من اندحار الصخرة على أحدهم، فتكون المصيبة مصيبتين.

وعاود سائق الجرافة تشغيلها، هدر صوت محركها بصوت عال، تراجعت عجلاتها بضعة أمتار، ثمّ غرس أسنانها في قعر الصخرة، وتقدمت الجرّافة للأمام، وما لبث أن أخرجت من باطن الأرض راناً حجرياً، سرت الهمهمة بين أهل البلدة، وامتزجت بأصواتهم الملعلعة:

- ثمة دفائن في المقبرة!...

فرك المختار عينيه غير مصدق، انفتل راجعا إلى بيته، أحضر فأسا، وعاد إلى المقبرة، كذلك فعل أهل البلدة، الذين نسوا في غمرة بحثهم عن الدفائن قبور موتاهم، حيث أحضروا فؤوسهم، وبدأوا بنبش تراب المقبرة رأسا على عقب، حتى تدحرجت عظام موتاهم على الأرض، وغدت قبورهم أثرا بعد عين.

□□□□ □□□□□ 21*28 2018.indd 75 8/18/18 4:16 PM

لوحة الفنان رائد عسكر/ فلسطين

□□□□ □□□□□ 21*28 2018.indd 76 8/18/18 4:16 PM

أحلام

عبد الحق السلموتي/ المغرب

استغرقت التدريبات بالمخيم الصيفي أسبوعا كاملا، وكلما اقترب موعد العرض، كلما كبر حماس الفتيان والفتيات المشاركين في المسرحية، بل وازداد تخوفهم كذلك من هذه التجربة، وكان الدور الرئيسي من نصيب.. أحلام، دور فتاة فلسطينية، يقوم الصهاينة بحبسها، ورغم صغر سنها، ستذوق في ضيافتهم شتى أنواع التنكيل والتعذيب، دون أن يضعفها ذلك لحظة واحدة، بل سيزيدها قوة وتحديا، فقد كان دورا متعبا، وصعبا إلى حد ما، بالنظر إلى سن التي تتقمصه وتتمرن عليه، لكنها أحبته كثيراً، وكانت سعادتها به أكبر من أن توصف.

لم يعد يفصل عن زمن العرض سوى ثلاثة أيام، حين تسببت ضربة شمس في إصابة أحلام بحمى، أسقطتها طريحة الفراش. ومع ذلك ظلت متفائلة، بأنها ستكون على أحسن حال وقت العرض، وكان حماسها وتفاؤلها عائقين أمام استبدالها بفتاة أخرى، هي التي ربطت علاقة حميمية مع دورها، وبشكل مدهش.. أثناء وعكتها، كانت تحضر بين الفينة والأخرى بعض التدريبات، بل وتشارك فيها أحيانا، ولم تستطع في أية لحظة إخفاء مرضها، الذي كان يقف حاجزا مانعا أمام بذلها مجهودا أكبر.

□□□□ □□□□□ 21*28 2018.indd 77 8/18/18 4:16 PM

ليلة العرض، دخل جمهور المخيم القاعة، في انتظار ما ستجود به قريحة زملائهم، وعند الامتحان يعز المرء، أو يهان، وسهرة الليلة هي اختبار له، يُظهر فيها، بصفته مخرج المسرحية والمشرف عليها، مدى نجاحه، أو فشله، في تنمية واستغلال قدرات ومواهب هذه الطاقات الفتية، وكان كلما تذكر عدم استرجاع أحلام لعافيتها كاملة، أدرك صعوبة المسؤولية الملقاة على عاتقه، وقد شاءت الصدف أن يحضر زوار وضيوف، لا يعرف أحدا منهم، أتوا في الغالب من المخيمات المجاورة، ولا يدري من دعاهم لفرجة هذه الليلة بالذات.

وانطلق العرض، الدقائق الأولى مرت بسلام، فأحلام نطقت حوارها الأول والثاني دونما مشاكل، لكن الحوار الثالث قسمته أكثر من اللازم، وأحدثت به وقفات لم تكن ضمن التوجيهات، وقبل أن تكمله سقطت أرضا، والسقطة هي الأخرى، لم تكن ضمن الإخراج المسرحي، بقيت كذلك برهة من الزمن، كانت تلتقط أنفاسها بصعوبة، وهي تحاول أن تقف مجددا، وأنظار وعقول الحاضرين مشدودة إليها، وصمت رهيب يعم قاعة العرض، وأسقط في يده هو، لم يعد يعرف ما يقدم ولا ما يؤخر، إلى أن شرعت البطلة تتقيأ فوق الخشبة، وهي تتجاسر لتقف، وكلما حاولت سقطت من جديد. لحظتها لم يتمالك نفسه، حملها، وبسرعة فائقة جرى بها، إلى أن وضعها بين يدي الممرضة، التي عاتبته على إصراره على مشاركتها في المسرحية، رغم علمه بمرضها، لم يتحمل هذا العتاب، وأجابها صارخا ومنفعلا- رغم الدموع التي يحبس انسيابها بكل ما يملك من قوة - بأنه لم يرغمها على ذلك، بل هي التي أصرت، وجرياً، عاد مرة ثانية إلى القاعة، وفي نيته الاعتذار عن التوقف الاضطراري للعرض، ما دام المانع واضحا، والكل شاهده بأم عينه، لكن إثر وصوله، وجد أن أحد الأصدقاء، الذي كان يحضر التدريبات، قد تطوع وحل محلها، إذ شخص الدور متناولا النص المكتوب بيده، وبذلك أُنقذ الموقف، تقريبا أُنقذ ليلتها.

بعد العرض مباشرة، توجه صوب المكان الذي ترقد فيه أحلام للاطمئنان عليها، كانت مستلقية على فراشها لم تنم بعد، كأنها في انتظار من يأتيها بجديد الأخبار، قربها من الأجواء التي استكملت فيها السهرة أثناء غيابها، وظلت هي تحملق فيه دون أن تتكلم، فتمنى لها الشفاء العاجل، وهو يقبلها على جبينها، ثم هم بمغادرة خيمة التمريض عندما استوقفته:

- أريد أن أطلب منك طلبا، أرجوك نعيد تقديم المسرحية عندما أمتثل للشفاء.. وعدها بتنفيذ طلبها، وخرج..

وقتها أيقن أن علاقتها بالدور الذي تؤديه، لم تعد علاقة عادية، أحس بأن الأمر خرج عن طوعه، إذ تجاوز اندماج الفتاة مع الشخصية التي تؤديها، ما هو مسموح به في فن التمثيل، وهو أمر عادة ما يشكل خطورة على الفنان المحنك ذي الخبرة والتجربة الطويلتين، فما بالك بيافعة في مرحلة مراهقتها، وعمرها لم يتجاوز عقدا ونصف..

بعد مدة أصبح مرض أحلام في خبر كان، إذ غادرت الحمى جسمها النحيل، الذي استعاد خفته وحيويته، ونزولا عند رغبتها، أو تنفيذا لوعده لها، قُدمت المسرحية في إحدى السهرات، كما أُعيد فصل كامل منها خلال الأمسية الختامية، في آخر يوم من أيام المخيم..

وعندما أخذت سيارة أبيها تنأى، كانت هي بداخلها، ومن وراء زجاج النافذة تلوح له بيدها، وهو يرقبها شارد الدهن، يفعل كما تفعل، إلى أن اختفت عن ناظره، وهو بعد لم يفهم..

من تلك التي كانت منذ لحظات تودعه؟.. هل أحلام ال أم أحلام الفتاة الفلسطينية التي تضع حقيبتها فوق كتفه

كاتب من المغرب العربي
صدرت له مجموعة «الدملج العتيق»

□□□□ □□□□□ 21*28 2018.indd 78 8/18/18 4:16 PM

لوحة الفنان عدنان الشريف/ الأردن

العلبة السوداء

فريدة العاطفي/ المغرب *

إنه قدر نصنعه ونتصور أنه يصنعنا. نكرره ونقول إنه يكررنا. نكتبه بطفولتنا، ونحن نلهو، وحين نكبر يلهو بنا.

هكذا فكرت اليوم بإلحاح شديد، وأنا مع سعاد، نعبر مدينة ليون عبر مترو الأنفاق الكهربائي.

اعتقدت بعد هذا الزمن الطويل من الغياب بيننا، أن سعاد تغيرت، لكني فوجئت، وقد جاءت لزيارتي من إسبانيا، بأنها ما زالت سعاد ذاتها كما عرفتها منذ زمن بعيد.

فتاة تجعلني أحس بالدوار والخواء. أحس بشكل غامض أنها تدور حول جرح غائر، ومجهول من طفولة متخفية. جرح تجاهلته... فظل يصرخ فيها، لكي يلفت انتباهها إليه. هي تتجاهله وهو يصرخ ... ويكبر... ويزداد زحفا... يتسرب ... يتسرب ... إلى أن يسد عليها منافذ القلب حد الإختناق. وربما كان جرحها هو سر إحساسها الدائم بالفراغ والخواء. بقدر ما يختنق قلبها، تحتاج للتنفس... فتتكلم... تتكلم... ولا تتوقف.

□□□□ □□□□□ 21*28 2018.indd 79 8/18/18 4:16 PM

كانت تزورني في منزلنا، فتضع لي أمي مع صينية الشاي حبات أسبرين. أتناول منها حبة، ثم أخرى... أضع وسادة خلف ظهري، أستند إلى جدار، وأستمع إليها في محاولات يائسة للتركيز معها، لكنها لا تتوقف... تنتقل من موضوع لآخر دون رابط... وهكذا... إلى أن أفقد قدرتي على المتابعة ... وأرحل بدوري إلى عوالم أخرى... أحن لأشخاص... وأتخاصم مع أشخاص... أتذكر كتبا وأشعارا وأماكن دافئة... أكتب رسائل وقصصا جديدة، وهي ما زالت تتكلم. أفتح عيني... فلا أرى سوى شفاه تتحرك... وأيد تصعد وتنزل في حركات دائرية... تلعن كل شيء، الزمن والوحدة والناس، الموت والفراق واللقاء، وحين تتعب من الكلام تتوقف... لتعود إلى شقتها حيث كانت تسكن وحيدة.

هذه المرة لم أشتر حبات الأسبرين، فسعاد أصبحت أفضل حالا. تخلصت من مهنة التعليم في البادية، مهنة كانت تقذف بها إلى عصور حجرية على حد قولها، وهاجرت إلى إسبانيا. لم تعد وحيدة، تزوجت من شاب تركي وأنجبت منه طفلا جميلا. أخبرتني بالتحولات الجديدة في حياتها، ونحن نتجول في المدينة القديمة، قبل أن نصعد إلى مترو الأنفاق باتجاه أحياء أخرى. لكن، وللمفاجئة، ما أن جلسنا، حتى عادت سعاد إلى سابق عهدها... تتكلم دون انقطاع. المترو الكهربائي يمشي وحده من دون سائق، برمج لكي يتوقف دقيقة عند كل محطة، حيث يصل صوت نسائي جميل يشعر باسم المحطة، مررنا بمحطات... ومحطات... وسعاد ما زالت تتكلم... وكلما أردت أن أوقفها تقاطعني: «انتظري قليلا لم أكمل لك بعد ...».

إلى أن وصلنا إلى نهاية الرحلة، واضطررنا أن نعود مع الرحلة الجديدة، انتبهت إلى سيدة نائمة في المقعد المجاور، على امتداد الطريق، كلما حاولت أن أوقظها، وأسألها عن المحطة التي تريد النزول فيها، تجبني: « لا أعرف أين سأنزل؟ أيقظوني عند المحطة التي ستنزلون فيها.»

ضحكت سعاد، وقالت: «هذا مترو يشبهني... إنه مترو عجيب، لم أر له مثيلا، كيف يمكن أن يمشي دون سائق؟»

أجبتها، وأنا أحاول إقناعها بالنزول: «علينا أن ننزل، إننا ندور حول أنفسنا.»

ردت ضاحكة وهي تنظر للمرأة المستسلمة للنوم: «يبدو أنها مثلي، هي أيضا تدور حول نفسها دون أن تدري.»

لا تدرك سعاد أننا يمكن، إن لم ننتبه، أن نقضي حياة بكاملها... ندور حول أنفسنا .

مترو الأنفاق ما زال يمشي بسرعة كبيرة عابرا المحطات... جون ماسي.. ساكس كامبيطا ... فينيسيو ... سعاد ما زالت تتكلم ... قاطعتها بحزم هذه المرة، وأنزلتها بصعوبة في محطة «بيل كور» أي الساحة الجميلة.

كانت تشبه ديكا ذبح لتوه، وما زال يتخبط في دمه. قالت: ونحن نصعد الدرجات للخروج من الأنفاق: «لا أعرف لماذا كلما تكلمت كثيرا أحس بالذنب والخواء؟ ولا أستطيع تحمل الإحساس، بأني أدور كثيرا حول نفسي لأهوي في ظلمة صاعقة.»

كان الغمام قد أفقد الساحة الجميلة الكثير من بهائها، وكنت أفكر في الصمت والكلام. تخيلت سعاد طفلة تتحدث دون أن يستمع إليها أحد. أمها مشغولة بالطبخ، وأبوها يعد النقود... وهي وحدها تمشي... وتسقط... تبكي... ثم تتكلم ... ثم تصمت... هل كان ذلك هو جرحها ؟

□□□□ □□□□□ 21*28 2018.indd 80 8/18/18 4:16 PM

سمعنا هدير طائرات، فتطلعنا بأعيننا نحو السماء... نبحث عن الصدى وعن شكل الطائرة وسط الغيوم.

كما لو أن الطائرات كانت قادمة من ماضي سعاد... فذكرتها بشيء جعلها تعود بسرعة للحديث دون توقف. لكني أوقفتها، ودخلت بها إلى مقهى.

كان المقهى دافئا ذا أبواب خشبية عتيقة وأرض كذلك, جلسنا قريبا من سيدتين إحداهما مسنة والثانية شابة، ربما كانت الأولى جدة للثانية.

كان كلام الجدة مليئا بالمحبة والحكمة، وهي تتحدث عن إيمانها برحابة الكون، وبوجود كائنات مختلفة تسكنه في كواكب أخرى.

قاطعتها الشابة بأدب، وهي تتطلع من زجاج المقهى إلى الطائرة، وقد عادت تحلق في السماء «أسمع صوت طائرة». ثم استدركت: «سمعت أن الطائرة إن لم تنفجر مباشرة، تدور طويلا حول نفسها قبل أن تتحطم أشلاء على الأرض.»

أجابت الجدة، كما لو أن الأمر يحدث في الكواكب الأخرى أيضا: أعتقد أن الأمر صحيح... لكن ما يثيرني في الطائرة، هي علبتها السوداء التي تحتفظ بكل أسرارها قبل السقوط... تبدو لي تلك العلبة شبيهة بأعماق الإنسان... لكل إنسان علبته السوداء، تلك التي تحمل كل أسراره منذ ولادته إلى موته.

ولكي لا نموت من الصمت, ومن الثرثرة التي تقول أشياء كثيرة، لتخفي كل شيء. ولكي لا نعيش حياتنا، ونحن ندور حول أنفسنا، وحول جرح يؤلمنا ونجهله. ولكي لا نسقط بشكل مفاجئ كالطائرة، نحتاج أن نفتح علبنا السوداء للضوء... كلما أحسسنا أن العلبة ضاقت بأسرارها.

لوحة الفنانة سمر كامل/ المغرب

* كاتبة من المغرب العربي مقيمة في فرنسا. باحثة نفسية واجتماعية. صدرت لها مجموعة قصصية بعنوان: «على سفر»

□□□□ □□□□□ 21*28 2018.indd 81 8/18/18 4:16 PM

لوحة الفنانة كفاح آل شبيب/ العراق

□□□□ □□□□□ 21*28 2018.indd 82 8/18/18 4:16 PM

ابنة عمي وشويهات جدي ..

محمد حماس/ المغرب*

كلما ذكرتك أجهشت بالبكاء.. أبكي وأبكي.. ثم أبكي.. أستيقظ كل صباح أختلس النظر من فتحة الباب.. أخالك واقفة هناك.. أسمع قرع الجرس قبل أن تلمسه أناملك.. خيبة أملي كبيرة فيك مثل بلدي.. أكتب قصائدي، وأضعها في جيبي، لتبقى هناك تتعفن مع جثتي.. كم مرة فكرت أن أرقص عاريا عند الشاطئ، والخلق من حولي يصفقون.. ويضحكون.. ويهزؤون.. ويغارون.. مني.. يا لسعادتي..

حضر جدي، لفقير ميمون نقر جبيني بعصاه الخيزران.. ارتدت العصا، فسمعت لها طنينا.. لم أدر ما حل بي.. كنت في بيت جدي الذي هو خيمتنا، وفقيه الدوار مقرفص قرب جثتي..

{يس {1} وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ{2} إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ{3} عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ{4} تَنزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ{5}}.. رذاذ منعش.. جدتي ترش وجهي بماء بارد، وتضع قطعة بصل عند أنفي.. كانت تحبني.. حملتني على ظهرها.. كم مرة

□□□□ □□□□□ 21*28 2018.indd 83 8/18/18 4:16 PM

بللت ثيابها.. تصلي ولا تأبه بفتوى جدي.. بول الأطفال طاهر.. هكذا ظلت تكرر على مسمعي حديث الصلاة.. وبلل الثياب.. البصل الأحمر قوية رائحته.. لما تأكدت أني فتحت عيني، وأني أتنفس، وقلبي يخفق، نهرت جدي.. هل تريد قتله؟.. لم تكن أمي ولا والدي ليجرؤ على التدخل في نازلة مثل هذه، لأن لفقير ميمون هو القائد.. إنه «أمغار».. حتى الدمع لم يكن مسموحا به.. لم نكن نرتدي حينه ملابس داخلية.. خرقة قماش، حافي القدمين أسابق الريح وأرعى شويهات جدي.. كم كنت أحب جدي.. كبرت وكبر حبي لجدي، ولابنة عمي وللشويهات.. جعلت لكل شاة اسما وللخراف أيضا.. كنت أعشق ابنة عمي.. كانت تسابق الريح مثلي.. شعرها الأحمر، مثل لون حقل الذرة.. عيناها عسليتان ووجها الأحمر شققته خيوط الشمس الذهبية.. أحب النظر إليها عند كل مغيب، كلما همت الشمس بالرحيل ليحل الغسق الجميل.. آه من رائحة ابنة عمي.. لا زلت أنتشي بعطرها من نبات الأرض ورائحة الشويهات.. تمرر أصابعها الخشنة على وجهي.. أقبل شفتها السفلى فنغرق في سر اللحظة.. هل تذكرين لقاءنا الأول.. عند شجرة البلوط الكبيرة.. أي نعم.. جسدك النافر، خالد مثل الجمال.. كنت تستحمين عند الشلال.. أنت مثل إلهة النهر بقريتنا.. كنت أحرس المكان، كي لا يختلس النظر إليك الجبناء.. فاكتشفت غبائي، لما تركت الماء يعبث بجسدك اليانع.. يتسرب عبر مسام بدنك.. يداعب شعيراته.. وتنحبس قطرات من ندى على صفحة خدك وجيدك المرمري.. آه يا لغبائي..

قابلتك مرة عند البوابة الكبيرة، هكذا كنا نسميها، مدخل الحي الذي يفصل حينا عن بقية أحياء المدينة، كنا نتحدث عن الليل والبدر أيام الربيع في «دوار أولاد الحاج»، عند مصب نهر «ملوية».. كنت أنظر للبدر ووجهك الحسن..

نستعيد الآن شريط الذكريات، ونستنكر هذا السفر المفاجئ الذي حرمنا من متعة الأرض.. كنا نجمع الحلازن، ونطارد الفراشات، ونلهو بالأعشاب البرية.. أما وقد ولى زمن الأرض والوادي والأشجار، فلا ريب أن نستحضر تلك اللحظات الجميلة ..

هذه الجدران والبنايات والزقاقات الضيقة، تكبت أنفاسي.. رددت ابنة عمي، واسمها عائشة ..

لا عليك عزيزتي سنعود ذات ربيع لحقنا ..

حبيبتي تشعر بالبرد.. زخات المطر بللت شعرها.. عدنا أدراجنا للبيت العتيق.. لماذا أصر جدي على الهجرة؟ ألم يكن حريا به التشبث بالأرض؟ وأية أرض؟ سلبها الأغراب، وما تبقى لنا غير القليل.. عمَّ الجفاف والمجاعة، وتفشى الوباء بين أبناء الدوار، أبناء القبيلة جميعهم رحلوا.. تراجع ماء النهر عند «المحصر»، مشرع كليلة، و«لحرايك» و«كرت».. هكذا ظل جدي لفقير ميمون، يبرر سبب الإخلاء والهرب من الأرض ..

كان لفقير ميمون متوسط القامة، رشيقا، أحمر الوجه، العمامة البيضاء فوق رأسه المحلوقة دائما، واللحية البيضاء، مثل كومة الثلج تزيده بهاء ووقارا، العصا تلازمه والسبحة، يهمهم ويعد حباتها طوال الوقت، لا ينام من الليل إلا قليلا، يكثر من الصلاة، حتى إذا حان الفجر توضأ وانطلق نحو المسجد، كان بيتنا عامرا بأهله وجماعة «الفقرا» التي كان أفرادها يزورونا باستمرار، يقيمون «العمارة» هناك.. سمر ليلي،

□□□□ □□□□□ 21*28 2018.indd 84 8/18/18 4:16 PM

أذكار وأوراد.. يدمنون شرب القهوة.. النساء في المطبخ، وجدتي رقية بنت خرباش تشرف على إعداد الكسكس.. كنت أعشق كسكس جدتي رقية بالسمن والمرق والقديد والحليب ولحم الطرائد.. كسكس أمازيغي خالص ..

رقية، جدتي من والدي، تحكي عن سنوات العز والزمن الجميل، حيث الريف والجبال الشامخة والأعشاب والحيوانات البرية، تروي حكايات عن الغابة الكبيرة، وما كانت تزخر به من وحيش.. «غابة لخنادك».. أرانب وغزلان وذئاب وثعالب وضباع.. قصص مثيرة عن الحيوانات والمقالب لاقتناصها.. وفرة الغلال والمحاصيل «أنبذو».. تليها الأفراح والأعراس والمناسبات الجميلة.. تقتني النساء الأثواب الجميلة، وخلاخل الفضة.. يتزين بالوشم وينسجن الزرابي.. حياتهم تآزر وتويزة في الأفراح والأتراح.. ظلت جدتي تحكي قصص دخول المستعمر، واحتلال الأرض، ومقاومة أهل الريف.. حدثتني عن «ساليكان» والفرنسيين والإسبان، والأمريكان وبوحمارة وبني وكيل.. سنوات المجاعة والرحيل نحو تاوريرت..

عادت ابنة عمي للبيت منكسرة الخاطر، شعرت بالذنب؛ لأنها استدعت لحظات الحب الجميلة بـ«آيث بويحيي»، صرت أجبر خاطرها، لتعود الابتسامة لمحياها.. كنا نلهو في فضاء رحب دون رقيب.. نمشي بين الحقول والسهول.. لا نبالي.. أما الآن فلا مفر من هذه الضوضاء، لا بد من التعايش والتأقلم معها.. قد نعود يوما للديار، سوف نمضي العمر نحمل حلم العودة بين ثنيات الفؤاد..

لا تحزني عزيزتي، نحن نحمل ذكريات لن تبلى.. يكفينا الحلم، هكذا بادرتها بالحديث لأفك عزلة الصمت القاتل،

ابتسمت ونظرت إلى السماء، ثم أخذت يدي تشعرني بدفء.. تسري مشاعر دافئة في عروقي، سرنا معاً، نمضي إلى حيث حياة جديدة، مثقلين بذكريات الماضي..

*كاتب من المغرب العربي من مجاميعه القصصية» أضغاث أحلام»

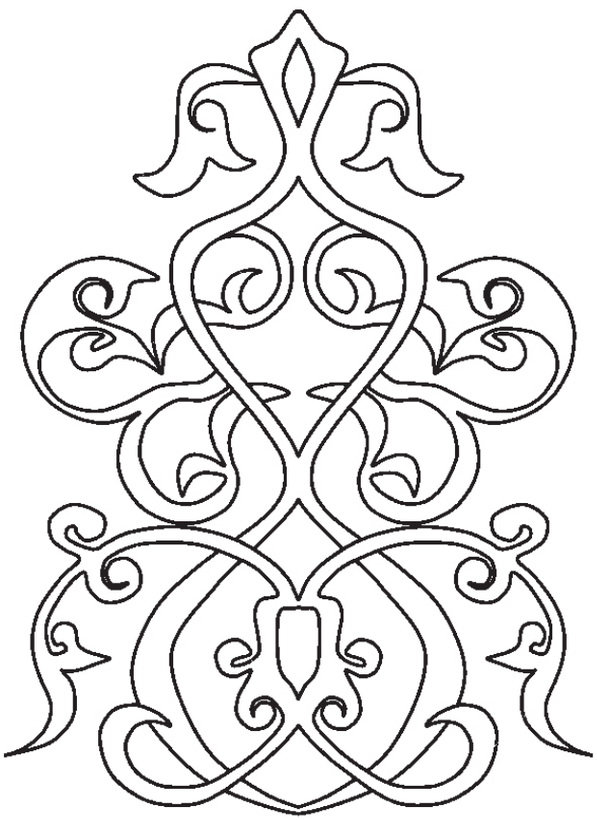

□□□□ □□□□□ 21*28 2018.indd 85 8/18/18 4:16 PM

عمل الفنان مهنا الدرة/ الأردن

21*28 2018.indd 86 8/18/18 4:16 PM

قصص قصيرة جداً

محمد عارف مشّه/الأردن

(1)

قال: لا تصدري صوتا عالياً، فأمي نائمة.

قالت: تعال نلعب عند قبر أمي، كي تستيقظ.

(2)

أشار لسائق السيارة. داس الضجيج ظلّه. وصل الرجلُ متأخرا إلى عمله.

(3)

طفل

طفل أطلّ الفتى برأسه من طرف الخيمة. لسعه برد قارص. عاد لحضن أمه. وجده باردا. والناس من حولها يبكون.

(4)

نظر. أشاحت. ابتسم. عبست. اقترب. ابتعدت. غازلها. أهداها وردة. داستها بقدمها ومضت.

(5)

المارد

مسح الفقير بأصبعيه المصباح السحري. خرج له المارد كهلا، يطلبه كسرة خبز.

(6)

خرج البطل من القصة غاضبا. دخل غرفته. خلع رأسه. تمدد في سريره ونام.

□□□□ □□□□□ 21*28 2018.indd 87 8/18/18 4:16 PM

(7)

مَّن سرق أبي

ازداد بريق عينيها. ركضت. دفنت رأسها في صدره. لم تشتم رائحة تبغه. صرخت: مَن سرق أبي مني؟

(8)

على الرصيف مات، وفي كيسه بقايا رغيف خبز يابس. نسيّ رأس البصل وحبة الطماطم لغداء الأولاد.

(9)

أنا وأنت

صورتان على الجدار

يجمعنا إطار واحد

(10)

قال لها: الشجرة التي لا تثمر حلال قطعها. نظرت للبعيد مسحت دموعها... همست: ليتني أنجبت فأرا.

(11)

القط

اقترب بكوب الماء من فمه. ماءت هرّة صغيرة. وضع الكوب الممتلئ بالماء على الأرض، ثم مضى.

(12)

(قنّاص)

انتابه شعور بالفرح. حلق ذقنه. استبدل ثيابه. خرج. في المساء أطلق القنّاص باتجاه الفرح رصاصتين. تدّثر الرجل بثوب أبيض.

(13)

بنت

في الحافلة. نظرت الفتاة في المرآة، فوجدته يجلس خلفها. الشيب يمنح الرجل وقارا. أحمرت وجنتاها خجلا. طأطأت برأسها، وهمست: ليتك كنت لي.

(14)

ظلٌّ يشبهني

تناول آخر ما تبقى في فنجان قهوته، وخرج يبحث عنّي.

□□□□ □□□□□ 21*28 2018.indd 88 8/18/18 4:16 PM

عمل الفنان سعيد حدادين/ الأردن

□□□□ □□□□□ 21*28 2018.indd 89 8/18/18 4:16 PM

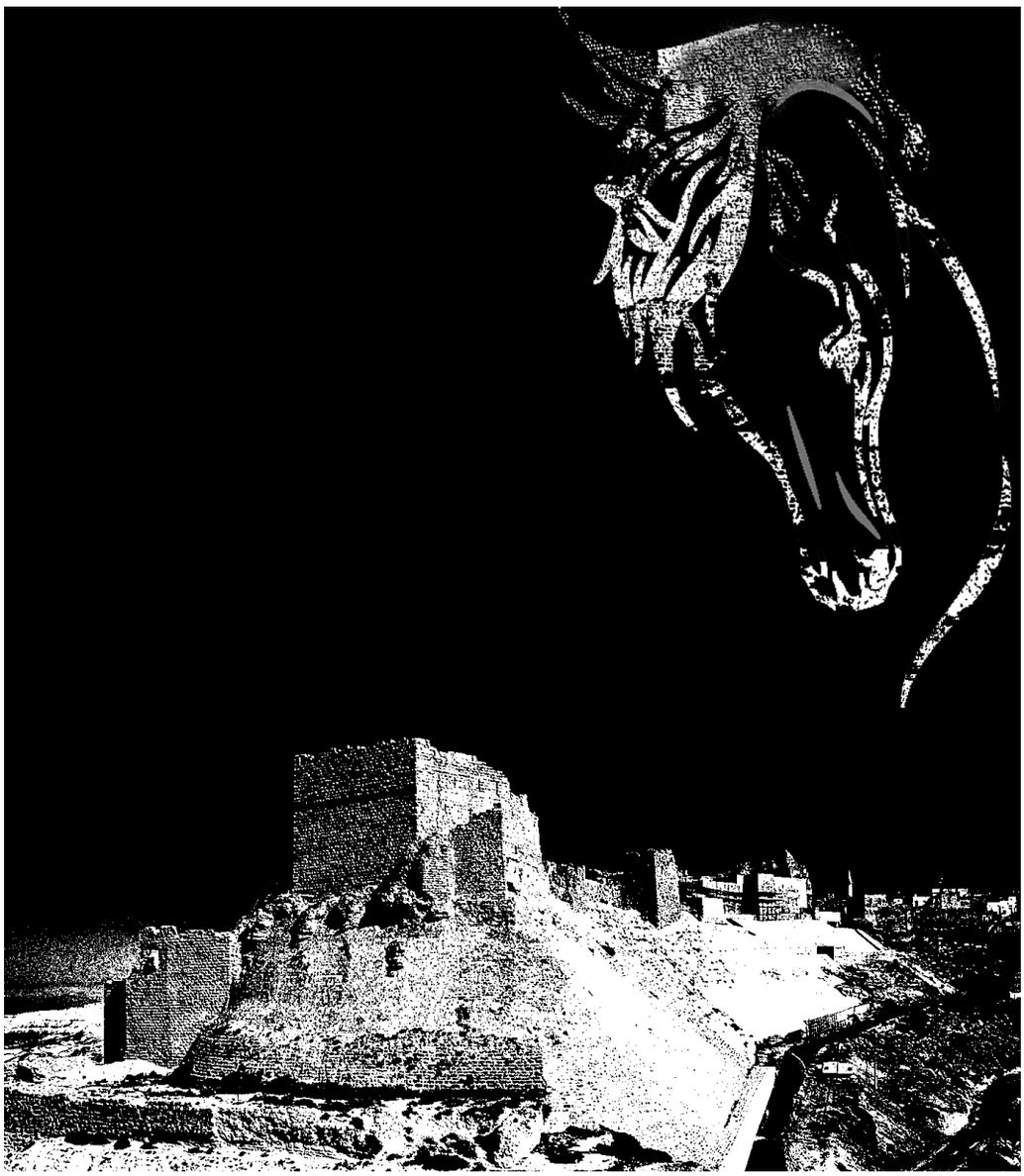

قلعة الكرك/ الأردن

21*28 2018.indd 90 8/18/18 4:16 PM

الحطب والقطران

((هذه المسرحية مأخوذة بتصرف عن قصة أبناء الغساسنة للأستاذ العلامة روكس بن زائد العزيزي))

تأليف: جبـريل الشيــخ/ الأردن

(1)

صوت: الحطب والقطران...

قصة حقيقة.. وقعت حوادثها سنة 1832، في الكرك من أعمال شرقي الأردن، في ذلك الوقت.

«تتفجر موسيقى حزينة وتصاحب الحوار في المشهد التالي»

(2)

عليا: إبراهيم !..

أرى في عينيك حزناً دفيناً في لحظة احتباس...

يكاد من هولٍ يتفجر!..

إبراهيم!..

ما عهدتك تلقي برأسك على كتفي، كما يتعلق الطفل بأمه!..

ما الذي جرى، يا إبراهيم ؟!...

أنا التي دائماً أهرع إليك، والقي برأسي على كتفك، فأنت .. سندي ..

إبراهيم: لا أقوى على النطق، يا عليا ..

كل شيء في نفسي يرتعد، عندما أفكر.. بما .. أريد قوله لك ..

عليا: كيف؟! .. وأنت شيخ الكرك؟! ..

إبراهيم: لأني إبراهيم الضمور، شيخ الكرك، وقع الاختيار عليّ، كي أنفرد عن غيري بما يمزق الكبد!..

عليا: أخبرني بالله عليك، لا تتركني أتجرع مرارة التوقعات ..

إبراهيم: لعلها إرادة الله، على كل حال ..

عليا: تكلم يا إبراهيم، تكلم ..

□□□□ □□□□□ 21*28 2018.indd 91 8/18/18 4:16 PM

إبراهيم: اسمعي، يا عليا .. أنا ما تزوجتك لبياض خدّك، بل لأنك أصيلة، ترفلين بثياب العزة والإباء .. عشنا سنوات طويلة، ولم أبصر منك ما يسوؤني.. ورزقنا الله ولدين ..

عليا: «بهلع» وماذا جرى لهما؟! ..

إبراهيم: سيقتلان حرقاً بالنار، يا عليا ..

تتصاعد الموسيقى

(2)

«يبدأ المشهد بلغط جمهور من الرجال، ويتصاعد اللغط بالتدريج إلى أن يقطعه صوت رجل»

رجل 1: استمعوا إلي .. الرأي عندي، يا أهل الكرك، إن المسألة لا تحتمل رأيين .. فلا يعقل أبداً أن نأتي إلى شيخنا، ونطلب منه الموافقة على حرق ولديه..

رجل 2: وأنت الصادق، لا يمكن لأحد أن يطلب، مثل هذا من أحد ..

رجل 3: ولكن.. الكرك؟! .. الكرك، يا ناس ..

رجل 1: ما الذي يمكن أن تقوله يا رجل؟!.. ضع نفسك مكان إبراهيم الضمور .. وتخيل أن إبراهيم باشا، بجيوشه الجرارة، يحاصر الكرك مثلما يفعل الآن، وأخذ ابنيك رهينة ..

وقال: إما أن تسلموا الكرك، وإما أن أذبحهما حرقاً بالنار .. هل كنت تُفرط بولديك؟! ..

رجل 3: لا أفرط بهما .. ولكن ..

رجل 1: ولكن .. ماذا؟! .. إبراهيم باشا ما جاء من مصر، على رأس جيوشه، كي يلعب حول أسوار الكرك .. وإن لم يسلم إبراهيم الضمور المدينة لإبراهيم باشا، فسيحرق «سيد وعلي» أمام الأسوار ..

رجل 2: إذن .. لنضع حداً لهذا الجدل .. علينا أن نخبر شيخنا بقرار المدينة ..

رجل 3: أي قرار؟! .. لم نتفق على شيء بعد ..

رجل 1: سنطلق يد إبراهيم الضمور في التصرف ..

رجل 3: بأي شيء ؟! ..

رجل 1: بتسليم الكرك ..

"ضجة ولغط يختلط مع الفاصل الموسيقي "

(4)

عليا: لا تتردد يا إبراهيم .. أنا ما أنجبت لك ولدين، لتكون حياتهما عاراً عليك.. دع إبراهيم باشا يقتلهما، ولا يقول الناس إنك سلمت الكرك ..

إبراهيم: ولكنهما بريئان يا عليا .. كانا ذاهبين بطعام للرعاة؛ فأسرهم الجند، وحكم عليهما ذلك المتوحش بأن يكونا رهناً ..

عليا: كل إنسان يعمل بأصله .. ونحن نعمل بأصلنا .. لا تُسلم الكرك يا إبراهيم .. إنك إن فعلت هذا؛ سيعيثون فساداً في الكرك، سينهبون المال، ويعتدون على الحُرُمات ..

إبراهيم: معك حق .. من كانت هذه أخلاقهم، فلا يتورعون عن أي شيء ..

عليا: قل لي يا إبراهيم .. كي أعرف من هو قاتل فلذة كبدي .. من هو إبراهيم باشا هذا ؟! .. أنا .. لا أصدق بأنه من مصر ! ..

"فاصل موسيقي"

(5)

«ضجة رجال تخفت بالتدريج ثم يتحدث إبراهيم الضمور»

إبراهيم: صب القهوة للرجال، يا سعيد ..

سعيد: «بلكنة العبيد» من عيني يا حبَّاب ..

□□□□ □□□□□ 21*28 2018.indd 92 8/18/18 4:16 PM

رجل 1: ما في نفوسنا كيف للقهوة .. اجلس يا سعيد ..

إبراهيم: بل تشربون القهوة في بيت شيخكم كالعادة .. سمعت رأيكم في تسليم المدينة، من أجل إنقاذ ولديّ ..

رجل 1: ونريد أن نسمع رأيك ..

إبراهيم: رأيي أن إبراهيم باشا عندما حاصر الكرك، نهب جنده الحلال من المراعي، وهذا أول ما فعله .. يعني أن هذا القادم قاطع طريق، وليس موحد شعوب، أو صانع دولة يتساوى فيها الناس. لا يرعى حُرمة ولا يستظل بأخلاق .. وقد علمتم عن تهديده بقتل ولدي .. ماذا لو سلمته الكرك؟! .. سيفعل فُحشاً تخجل حتى عن تناقله الرُّكبان .. لم يحدث أبداً أن فعل الكبار ما فعله إبراهيم باشا ..

ولم أعجب .. سمعت أنه من اللمم .. لا أصل ولا فصل .. ولا أدري كيف صار باشا، لكنه حاكم مصر، وامتلك جنوداً يُسيِّرهم كيفما يشاء، فإذا كانت هذه فعاله وهو خارج الأسوار، فماذا سيكون حال المدينة إن فتحنا له الأبواب .

رجل 1: أرسل إليه بأن يطلق ولديك، وأخبره أنك شيخ الكرك ..

إبراهيم: هو يعرف ذلك، ولهذا السبب احتجز ولدي .. يعرف أن أمر المدينة بيدي ..

رجل 1: سمعنا رأيك، ولم نعرف ما هو القرار؟! ..

إبراهيم: القرار .. أُرسله إلى إبراهيم باشا ..

"فاصل موسيقي"

(6)

«يسمع صوت مشي جمل (خبب) مع فرقعة حطب، بسبب الاحتكاك حسب حركة الجمل والتمايل في المشي. ينطلق صوت سعيد بالغناء البدوي».

سعيد: يا من درى وش جرمة الشيخ عندنا

ما نرتضي بالغلب واحنا همايمه
حكر علينا الأرض، وهي ديرة لنا
والزرب يصلح للرجال الهلايمه

جندي: « بلكنة مصرية» ارفع أيدك يا وله .. إيه ده ؟! .. هي دولة من غير حُرَّاس ؟!..

سعيد: على هونك يا حبَّاب .. أنا عبد مأمور ..

جندي: وإيه ده اللي معاك ؟!..

سعيد: هذا بعير عليه حمل حطب وقطران .. أرسله سيدي إبراهيم الضمور شيخ الكرك لقائدكم، إبراهيم باشا..

جندي: والمعنى؟! .. هو احنا ناقصنا حطب يا وله؟!..

سعيد: خذني إلى إبراهيم باشا، لأخبره ما يقوله سيدي، وما على الرسول إلا البلاغ ..

جندي: مهو لأ .. لازم أعرف بالأول أنت عاوز تقول إيه ..

سعيد: يا حبَّاب .. أريد أن يصل كلام سيدي إبراهيم الضمور إلى سيدك إبراهيم باشا ..

جندي: حيوصل. بس الكلام ده إيه ؟!

سعيد: يقول سيدي ..

«يسمع صوت إبراهيم الضمور»

إبراهيم: أقتل. احرق. والله ما تدخل الكرك، وإبراهيم الضمور حي. احرق، وأنا أقدم لك الحطب والقطران..

«موسيقى النهاية»

21*28 2018.indd 93 8/18/18 4:16 PM

لوحة الفنان علي حسن/ قطر

□□□□ □□□□□ 21*28 2018.indd 94 8/18/18 4:16 PM

قصيدتان

ترجمة وصياغة شعرية:
د. محمد عصفور/ الأردن

السّونيتَة 73: وليم شيكسبير

عِنْدَما يَعْصِفُ الزَّمانُ بِعُمْري، فتَطيرُ الأَوْراقُ عَنْ أَغْصاني
وتَهُزُّ الرِّياحُ عُمْقَ كياني، ويَضيعُ البَهاءُ مِنْ أَلْواني
أُنْظُريني كَمَعْبَدٍ هَجَرَتْهُ جَوْقَةُ الصّادِحين بالأَلْحانِ.
أُنْظُريني تَرَيْ أَصيلاً كَئيباً، شاحِبَ الشَّمْسِ في المَساءِ الكَئيبِ
والظَّلامُ البَهيمُ يَأْتي الهُوَيْنا لِيَلُفَّ السَّماءَ بَعْدَ الغُروبِ
إنَّهُ المَوْتُ حَيْثُ تَسْكُنُ فيهِ حَرَكاتُ الحَياةِ بَعْدَ اللهيبِ
أُنْظُريني تَرَيْ لَهيبَ شَبابي قَدْ عَلاهُ الرَّمادُ فَوْقَ الشَّرارِ
وَخَبَا نورُهُ وَماتَ فَإِنَّ النّارَ تُنْهي حَياتَها بالنّارِ.
هكَذا سَوْفَ تَشْهَدينَ مَماتي،
فَتُحِبّينَ عِنْدَ ذاكَ حَياتي.

* * *

□□□□ □□□□□ 21*28 2018.indd 95 8/18/18 4:16 PM

إنْ: الشاعر رديارد كبلنغ

إنْ كُنْتَ تَقْدِرُ أَنْ تَمْضي بلا وَهَنٍ ... والكُلُّ حَوْلَكَ قَدْ ضاقَتْ بِهِ السُّبُل

وَأَنْ تَظَلَّ عَلى ما كُنْتَ مِنْ ثِقَة ... بِالنَّفْسِ مَهْما لَغا الحُسّادُ، أَوْ عَذَلوا

وَأَنْ تَكونَ حَليماً نَحْوَهُمْ، وَتَرى ... لِشَكِّهِم فيكَ عُذْراً رَغْمَ ما فَعَلوا

إنْ كُنْتَ تَقْدِرُ أَنْ تَنْشَدَّ مُنْتَظِراً، ... مِنْ دونِ أَنْ يَعْتَري أَعْصابَكَ المَلَلُ

وَأَنْ تَظَلَّ بِقَوْلِ الصِّدْقِ مُلْتَزِماً، ... وَأَنْ تَظَلَّ بِقَوْلِ الصِّدْقِ مُلْتَزِماً،

وَأَنْ تُحِبَّ حَقوداً أَنْتَ تَعْرِفُهُ، ... مِنْ دونِ أَنْ يَزْدَهيكَ، الكِبْرُ والجَذَلُ

وَأَنْ تَحوكَ مِنَ الأَحْلامِ أَجْمَلَها، ... وَتَجْعَلَ الفِكْرَ دَرْباً حَوْلَهُ شُعَلُ

مِنْ دونِ أَنْ تُصْبِحَ الأَحْلامُ طاغِيَةً، ... والفِكْرُ مُنْتَجَعاً، يَغْفو بِهِ الأَمَلُ

إنْ كُنْتَ تَقْدِرُ، مَهْزوماً وَمُنْتَصِراً، ... أَلاّ تُغَيِّرَ ما في النَّفْسِ يَعْتَمِلُ

وَأَنْ تَرى الحَقَّ يَصْطادُ اللِّئامُ بِهِ؛ ... كَأَنَّهُ شَرَكٌ يودي بِمَنْ غَفِلوا

وَأَنْ تَرى ما قَضَيْتَ العُمْرَ تَصْنَعُهُ، ... وَقَدْ تَحَطَّمَ أَشْلاءً، فَتَحْتَمِلُ

وَتَنْحَني تَجْمَعُ الأَجْزاءَ ثانِيَةً، ... تُعيدُ خَلْقَ الذي قَدْ كادَ يَكْتَمِلُ

□□□□ □□□□□ 21*28 2018.indd 96 8/18/18 4:16 PM

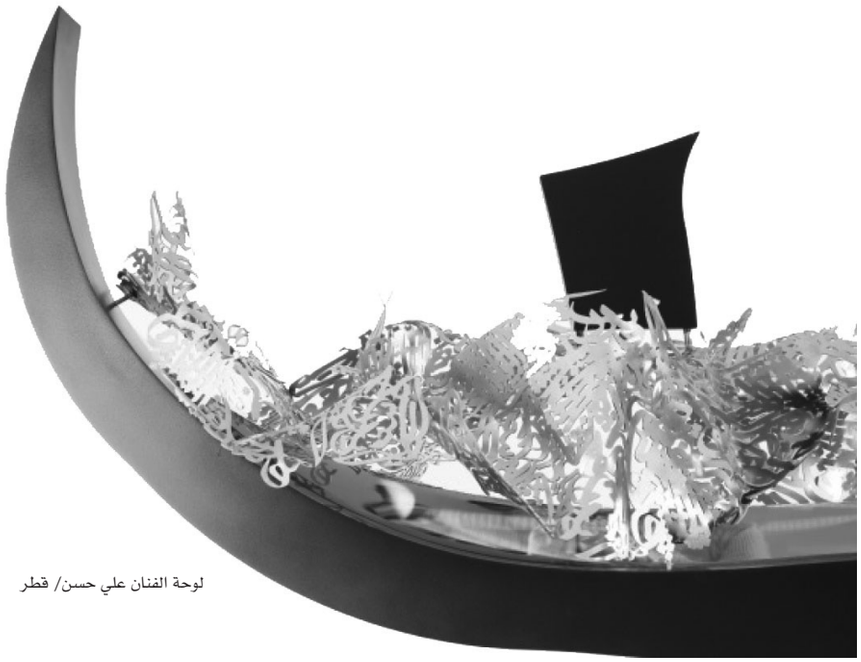

لوحة الفنان علي حسن/ قطر

إِنْ كُنْتَ تَقْدِرُ أَنْ تُلْقي بِما كَسَبَتْ ... يَداكَ، حَيْثُ النَّجاحُ الحُلْوُ والفَشَلُ

وَتَقْبَلَ الفَشَلَ القاسي بلا جَزَعٍ، ... وَتَبْدَأَ الدَّرْبَ، حَيْثُ الجِدُّ والعَمَلُ

إِنْ كُنْتَ تَقْدِرُ أَنْ تَمْضي إِلى هَدَفٍ ... وَضَعْتَهُ، دونَ أَنْ يَهْوي بِكَ الكَلَلُ

وَأَنْ تَظَلَّ أَمامَ الدَّهْرِ مُنْتَصِباً، ... يُطيعُكَ القَلْبُ والأَعْصابُ والعَضَلُ

وَأَنْ تُحَدِّثَ كُلَّ النّاسِ في ثِقَةٍ، ... وَتَحْفَظَ النَّفْسَ مِنْ أَدْرانِ ما عَمِلوا

وَأَنْ تَكونَ نَديماً لِلْمُلوكِ، وَأَنْ ... تَظَلَّ بِالنّاسِ – مَهْما صِرْتَ – تَتَّصِلُ

إِنْ كُنْتَ تَقْدِرُ أَنْ تَنْأى بِنَفْسِكَ، عِنْ ... كَيْدِ العَدُوِّ الذي بالحِقْدِ يَشْتَعِلُ

وَعَنْ أَذى الصّاحِبِ المَخْفِيِّ، خِنْجَرُهُ ... ذِئْبٌ تَنَكَّرَ، لكِنْ شَكْلُهُ حَمَلُ

إِنْ كُنْتَ تَقْدِرُ أَنْ تُعْطي لِكُلِّ فَتىً ... ما يَسْتَحِقُّ، فَلا يَنْتابُكَ الخَجَلُ

وَأَنْ تَعيشَ ثَواني العُمْرِ، تَشْحَنُها ... بِالعُنْفُوانِ إِلى أَنْ يَأْزِفَ الأَجَلُ

فَإِنَّكَ الوارِثُ الشَّرْعِيُّ يا وَلَدي ... لِهذِهِ الأَرْضِ: خُذ ما شِئْتَ يا... رَجُلُ!

□□□□ □□□□□ 21*28 2018.indd 97 8/18/18 4:16 PM

لوحة الفنان ديفيد روبرتس/ إنجلترا

□□□□ □□□□□ 21*28 2018.indd 98 8/18/18 4:16 PM

البتراء

افتخار بخاري*

ترجمة: نزار السرطاوي/ الأردن

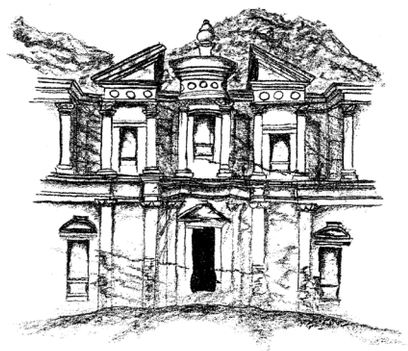

كم من البحار

كم من الفيافي

والغابات المَطيرة

كم من فراغات المرايا

في لحظةٍ، أو خلال قرون

عبرتُ

من أجل أن تتلاقى

وحدتي

مع وحدتك

* شاعر ودبلوماسي سابق من الباكستان يكتب عن البتراء

□□□□ □□□□□ 21*28 2018.indd 99 8/18/18 4:16 PM

آه يا مدينة الزهرة القرمزية!

أيتها الصخرة الهائلة الجميلة

لست أبالي

بأي كنز

إزاء هذا الحِصانُ الأحمر الذي

يقف منتصبًا، مشدودًا إلى مربط

في غفلةٍ

من ثلاثةٍ وعشرين قرناً

لا أبتغي سوى بعضٍ

من ليلك الحزين

لعلّ صمتي

يتحدث إلى صمتك

عندي حكاية أرويها، طافحةٌ بالندم

لو استمع إليها القمر القديم

لذرف دموعًا مليئة بالرمال

كي تنعم ورودك الكاسفة

بالماء الوفير

شظايا الزمن التي تمر سراعًا

خيبة العصور البائدة

□□□□ □□□□□ 21*28 2018.indd 100 8/18/18 4:16 PM

الهياكل العظمية المعلقة في
خزائن التاريخ المخادعة
ستجدني وفيّاً حتى النخاع
التأمّلات التي تتلصص عبر الشقوق
في الجدران المدمّرة لن تنكسر

أيتها المدينة الوردية
أنا راوٍ بلا صوت
لا أسأل شيئًا، سوى أن أقضي ليلةً واحدةً
على بابك الصلد
لسوف أتخلى لك
عن قلبي، الذي يشبهك
وردة منحوتة من صخر

سأحكي لك حكاية صامتة
من زمن سحيق ضائع
بعيدًا عن الآلهة الخطّائين
في صفاء الظُلمة الغارقة في التأمُّل
التي لا تخيفها الضحكة الأخيرة
للفجر الأبدي!

□□□□ □□□□□ 21*28 2018.indd 101 8/18/18 4:16 PM

الراحل الشاعر عبدالله رضوان/ الأردن

21*28 2018.indd 102 8/18/18 4:16 PM

لكِ أنتِ

قصيدة عبد الله رضوان
ترجمة وصياغة شعرية: عودة القضاة/ الأردن

لعينيكِ
للوجعين الصغيرين في مرمر الصدرِ
للبرتقال الذي يتكور
للانتظارِ الطويلِ على مذبح الوقتِ
لهذا الذي يسكن الخافقينِ
لهذا الشهيّ على الوجنتينِ
لرعشِ الشفاهِ
لطعم التلامُسِ
قلبي . . .
وأسئلتي . . .
ووجودي.

FOR THEE

For the charming eyes of thee,
and for the anguished nightingales
perching on the marbled breast;
for the ever rounding oranges,
and for the long moments of wait
at the baptistery of time;
for the love dwelling thy heart,
and for the delicious rosy cheeks;
for the sweet trembling lips,
and for the taste of an innocent touch
mixed with dalliance and soft resistance,
I pay my heart, my inquiries,
and I pay my whole existence.

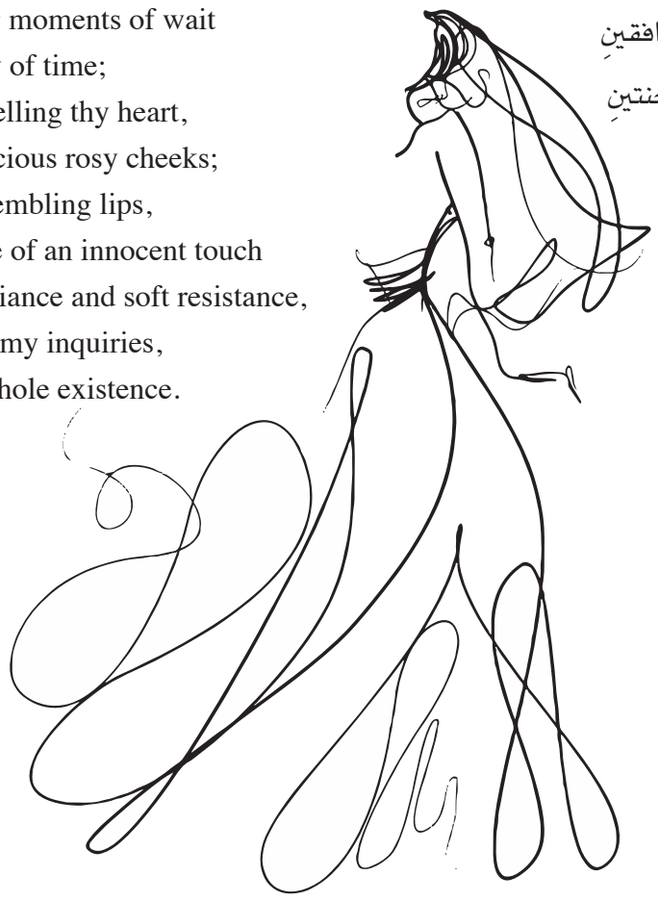

□□□□ □□□□□ 21*28 2018.indd 103 8/18/18 4:16 PM

□□□□ □□□□□ 21*28 2018.indd 104 8/18/18 4:16 PM

التنفس

مارك ستراند*

ترجمة: عبد الرحيم يوسف**

عندما تراهم
أخبرهم أنّي مازلتُ هنا،
أنّي أقف على ساق واحدة، بينما تحلم الأخرى...
أن هذه هي الطريقة الوحيدة...
أن الأكاذيب التي أقولها لهم،
مختلفة عن تلك التي أقولها لنفسي،
أنّي بكوني هنا، وفي الماوراء،
سأصبح أُفُقًا...
أنّي مع شروق الشمس وغروبها، أعرف مكاني...
أن التنفس هو ما يُبقيني...
أنّه حتى المقاطع المرغمة للزوال، هي تتنفُّس...
أنّه إذا كان الجسد نعشًا؛ فهو أيضا خزانة للتنفُّس...
أن التنفُّس مرآة غيَّمتها الكلمات...
أن التنفُّس، هو كل ما يبقى من صرخة الاستغاثة؛
وهي تدخل أذن الغريب،
وتبقى طويلاً، بعد أن يرحل العالم...
أن التنفُّس، هو البداية من جديد...
أن كل المقاومة تتلاشى منه، عندما يتلاشى المعنى من الحياة،
أو يهبط الظلام من الضوء...
أن التنفُّس هو ما أمنحه لهم، عندما أرسل لهم حُبّي.

*مارك ستراند (1934–2014)؛ شاعر وكاتب مقالات ومترجم أميركي.

**عبد الرحيم يوسف؛ شاعر ومترجم مصري.

□□□□ □□□□□ 21*28 2018.indd 105 8/18/18 4:16 PM

□□□□ □□□□□ 21*28 2018.indd 106 8/18/18 4:16 PM

سفيتاكيتو والواقع المطلق

إعداد مدني قصري/ الجزائر

قبل ملايين السنين قرّر الحكيمُ الهندي العظيم، أودالاكا أروني1 أن يُرسِل ابنَه سفيتاكيتو، البالغ من العمر اثني عشر عاماً، إلى أحد المُعلّمين، لكي يتعلّم منه الواقعَ المُطلَق، بكلّ أعماقِه. وعلى مدى اثني عشر عاماً دَرس سفيتاكيتو على يد مُعلّمه، وحفظ كلَّ الفِيدات (الكتاب المقدس للديانة الهندوسية). وعند عودتِه، لاحظ الوالدُ أنّ ابنَه يتصرّف، وكأنه استوعب كلّ ما يُمكنه استيعابُه. عندئذ قرّر أودالاكا أرُونِي أن يطرح سؤالاً على ابنِه الشاب، سفيتاكيتو.

□□□□ □□□□□ 21*28 2018.indd 107 8/18/18 4:16 PM

«أيّ بُنَـي المثقّـف، مـا هـو ذلـك الشـيء الـذي لا يُمكِن سـماعُه، ومـع ذلـك يجعـل السـمَع مُمكنـاً، ولا يمكـن رؤيتُه، ومـع ذلـك يجعـل الرؤيـة ممكنـة، ولا يمكـن معرفتُه، ومـع ذلـك يجعـل المعرفـةَ ممكنـة، ولا يمكـن تصـوُّره، ومـع ذلـك يجعـل التصـوُّرَ ممكنـاً؟»

ذُهِل سفيتاكيتو للسؤال، واحتار، وظلّ ساكناً.

وتابـع والـدُه :»عندمـا نعـرف جُزيئـةً واحـدةً مـن جزيئـات التـراب، تصبـح كلُّ الجُزيئـات معروفـة. وعندمـا نعـرف بِـزرةً واحدة من الذهـب، تُصبـح كلّ بِـزّرات الذهـب معروفـة. الفـرقُ بـين قطعـةٍ مـن الصياغـة الذهبيـة، وقطعـةٍ أخـرى، لا يَكمُـنُ إلا في اسـمِهما وشـكلِهما. في الواقـع كلُّ جواهـر الذهـب ليسـت سـوى الذهـب فقـط، وكل الأصـص الطينيـة ليسـت سـوى تُـراب. هـل لـك أن تقـول لـي، يـا بُنـيّ، مـا هـو ذلـك الشـيء، الـذي إنْ عرَفنـاه صِرنـا نعـرف كلَّ شـيء؟

«واأسفاه، مُعلّمي لم يُلقّنّي هذه المعرفة، أجاب سفيتاكيتو، هل لي أنْ أعرفها منك؟

«حسناً، قال أودالاكا، الآن فليكن لك ذلك.

«الكـونُ بِرُمّتـه واقـعٌ قائِـمٌ بذاتـه، وهـذا الواقـعُ وَعْـيٌ صِـرفٌ خالـص. والوعـيُ الصـرفُ هـذا هـو الوجـودُ المطلق. إنـه الواحـد الـذي لا يليـه الاثنـان. في البـدءِ قـال الواحـدُ لذاتِـه «الآن سـأتميّزُ بالتعـدّد الوافـر، وهكـذا أضحـى الواحـدُ بتعـدّدِه كلَّ الذيـن يـرون، وكل مـا يُمكـن رؤيتُـه». ودخـل الواحـدُ في التعـدّدِ الوافـر، وأصبـح الذاتَ (الجوهـر) في قلـبِ كلِّ شـيء. ذواتُ كلِّ الأشـياء هـي الواحـد، وهـذا الواحـدُ، هـو الجوهـر الأصلـي لـكل مـا هـو موجـود. أنـت هـذا الواحـد، يـا سـفيتاكيتو».

بهـذه الكيفيـة يصنـع النحـلُ العسـلَ مـن رحيـقِ العديـدِ مـن الأزهـار، لكـنّ، عندمـا يُنجَـزُ العسـلُ لا يسـتطيع الرحيـقُ أن يقـول «لقـد جئـتُ مـن هـذه الزهـرة، أو تلـك. وبالمثـل، فعندمـا تتماهـى أنـت مـع ذاتِـك سـتصبح الواحـدَ مـع ذاتِ كلِّ مـا هـو موجـود. إنهـا الـذات الحقيقيـة لـكل شـيء، وأنـت، يـا سـفيتاكيتو، هـذه الـذات.

«نوّرني أكثر، أرجوك يا أبتِ»، أجاب الشاب.

قـال أودالاكا، بعـد اسـتراحةٍ قصيـرة «نهـرُ الغـانج يجـري نحـو الشـرق. ونهـرُ الإنـدوس يجـري نحـو الغـرب. لكنّهمـا في النهايـة يُصبحـان بحـراً. وبعـد أن يُصبِحـا بحـراً، لا أحـد منهمـا يفكـر «أنـا الغـانج»، «أنـا الإنـدوس». وهكـذا يـا بُنـي، كلُّ موجـودٍ مَنْبَعُـه في الـذات المجهولـة، وهـذه الـذات هـي الجوهـر الأصلـي لـكل شـيء. إنهـا الـذات الحقيقيـة، وأنـت يـا سـفيتاكيتو، هـذه الـذات.

«عندمـا يتداعَـى الجسـدُ ويمـوت ويفنَـى، تظـل الـذاتُ علـى حالِهـا، لا تهلَـك ولا تمـوت ولا تفنَـى. النـارُ لا تسـتطيع حرقَهـا، والمـاءُ لا يسـتطيع تَبليلهـا، والريـحُ لا تسـتطيع تجفيفَهـا، والأسـلحةُ لا تسـتطيع تدميرَهـا. فهـي أزليـةٌ، ليس لهـا بدايـةٌ، وليس لهـا نهايـة. فهـي فيمـا وراء حـدودِ المكان والزمـان، تَلِـج في الكونِ كامـلاً. سـفيتاكيتو، إنـك هـذه الـذات حقـاً».

□□□□ □□□□□ 21*28 2018.indd 108 8/18/18 4:16 PM

«أريد مزيداً من النور، يا أبتِ، أجاب سفيتاكيتو،

«ناوِلني ثمرةً من شجرة نياغروذا»، طلب الأب.

فأحضرَ له سفيتاكيتو الفاكهة.

«افتحْها.»

فأطاع سفيتاكيتو.

«ماذا ترى يا بُني؟»

«بزرات صغيرة جداً، يا أبي»

«الآن إكسِرْ واحدةً من هذه البزرات»

فكَسَرَ سفيتاكيتو بزرةً صغيرة.

«ما الذي تراه الآن، يا بنيّ؟»

«أرى أنه لم يبقَ أيُّ شيء، يا أبتِ»

إنّ ما لا تراه هو الجوهرُ الأصيل، ومجموعُ شجرة نياغروذا، منبثقٌ من هذا الذي لا تراه. فبالمثل، ينبُت الكونُ وينبثق من الذات الأصلية.»

في النهاية طلب الأبُ أودالاكا من سفيتاكيتو، أن يضَع مُكعّباً من المِلح في دلوٍ من الماء. وفي اليوم التالي طلب الحكيمُ من ابنه أن يُعيد إليه مُكعّبَ الملح.

«لا أستطيع أن أعيده إليك، قال الشاب، لقد ذاب في الماء.»

طلب أودالاكا من ابنِه أن يذوق طعمَ سطحَ الماء، «قُلْ لي كيف هو مذاقُ الماء؟»

«الماء مَالِحٌ يا أبتِ.»

«والآن ذُقِ الماءَ في قاع الدلو، وقُل لي كيف هو مذاقُ الماء.»

«الماءُ مالِحٌ، با أبتِ.»

«مثلما هو المِلحُ مُتَمَوْضِعٌ في البلّور وموزَّعٌ في الماء، فكذلك ذاتُك مُتَمَوْضِعة في جسدِك، ومُتداخلة في الكون برمّته في ذات الوقت. البرهمن لا تراه في الجسم، رغم وجوده فيه. إنه الكائن الجميل النقيّ الكامن في الباطن. إنه الحقيقة المطلقة. إنه الذات. إنه أنت يا سفيتاكيتو.

مرّة أخرى طلب الابن من أبيه، أن يشرح له أكثر عن الذات.

فقال الأب:

□□□□ □□□□□ 21*28 2018.indd 109 8/18/18 4:16 PM

عندما يضعون عصابةً على عينَي شخصٍ، ويقتادونه إلى مكانٍ مجهول، ويتركونه هناك، فسوف يظل هذا الشخص تائهاً ضائعاً، يتخبّط في كل الاتجاهات، ويصرخ ويصيح، طالباً النجدة، متوسّلا أن يزيح عنه أحدٌ العصابة، ويدلّه على طريق العودة إلى بيته وأهله.

«وعندما يصادفه أحدُهم فيُغيثه ويواسيه، سيظل يتنقَّل من قريةٍ إلى قرية، سائلا عن السبيل الذي يقوده إلى بيته. ويظل يسأل، ويسترشد بالناس إلى أن يهتدي إلى بيته. هكذا هي الطريقة التي يتعلّم بها الساعي إلى الذات، عندما يلتقِي مع مُعلّم مستنير، يُلقنّه أسرارَ هذه الكائن الجميل النقيّ، الكامن في باطن العِباد والأشياء.»

«بُنَيّ العزيز، قال أوداكالا، إنّك لا تُحِسّ بذاتِك، ولا تُدركها داخل جسدِك، لكنّ دون ذاتِك تصبِح الإدراكاتُ الحسية مستحيلة. إنك لا تستطيع أن تتصوّر الذات، لكنّ دون الذات، يصبح تصوُّرُ الأشياء مستحيلاً. تستطيع أن تتخيّل الذاتَ، لكن من دون الذات، يصبحُ الخيالُ مستحيلا. لكنّ، عندما تصبحُ أنت الذات، وعندما تعيش في مستوَى هذه الذات غير المُوضَعة (أي التي ليس لها موضِع محدّد وملموس) ، تصبح أنت ساعتها مترابِطاً (متواصلاً)، مع كلّ ما هو موجود، لأنّ الذات هي مصدرُ كل موجود. الحقيقة والواقع والوجود والوعي والمطلق، سَمِّهِ كما شئت، هو الواقعُ المطلق، وأساسُ كل كائِن موجود. وأنت هذا، يا سفيتاكيتو.

عِشْ في هذا المستوى، سفيتاكيتو، وكلُّ رغباتك ستتحقّق، لأنه في هذا المستوى من الوعي، لن تكون رغباتُك رغباتِك أنت فقط، وإنما ستكون متراصِفة ومصفُوفة مع رغبات كلِّ ما هو موجود»

نفّذ سفيتاكيتو كل ما تعلّمه، وأصبح واحداً من أكبر حكماء تقاليد الفيدانتا.

تُحدّد الفيدانتا Vedānta طبيعةَ الوجود، وتُعلم أنّ النفس، أتمان (ātman) هي من نفس طبيعة البرهمن Brahman، الواقع النهائي المُطلق غير المتميّز. إنّ إدراكَ هذا الواقع، مُعَتَّمٌ في الإنسان بالفكرة الخاطئة (vikalpa)، التي يمتلكها عن نفسه وعن العالم، التي تمنعُه من أن يعيش ملءَ وحدتِه وكمالِه. في الأوبانيشاد، وهي الجزء الأخير في مجموعة من الكتابات الهندوسية التي تُسمَّى الفيدات، يُقدَّم الوعيُ الخالص، الذي يُسمّى برهمن (الذات الشمولية)، على أنه الطبقة التحتيّة للكون، التي ينبثق منها العالمُ والوعيُ الفردي (ahaṃkāra). لكن كل هذه الأشكال، وفقاً لفيدانتا، ليست سوى مظاهرَ وهميّة؛ لأنّ البرهمن وحده هو الموجودُ في الواقع. العالمُ كلّه ليس كما يبدو لنا: ليس له وجودٌ مستقل، إنه تجسيدٌ لواقع مطلق، إنه مجرد مظهر، وهو ينبثق من خلال لعبة مايا، أي القوّة الخلاقة الكامنة في برهمن، الواقع المُطلق.

□□□□ □□□□□ 21*28 2018.indd 110 8/18/18 4:16 PM

محاولةُ فهّمِ طبيعة الذات غير المُتَمَوْضِعَة – أي التي لا يمكن رؤيتها رؤيةً حسيّة مباشرة – عمليّةٌ مُهمّة للغاية، ومع ذلك فهي حقيقة متعذّر إمساكُها. إنّها كامنة في العدَم، الذي هو رحِمُ كلّ ما نراه، ونلمسُه بحواسنا من حولنا في هذه الحياة.

1. أودالاكا أروني من بين أشهر أنبياء الفترة الفيدية (الألفية الثانية)، وهو شخصية من عائلة أرونا. في البرهما Brahmana والأوبانيشاد، اشتهر كَ(لاهُوتيّ) بارع، حريصٍ على إقامة المعادلة التي مفادها، أن أتمان (الروح الفردية)، مطابقة للبرهمَن (المطلق). كان لديه ابنان، يقال إنّ كلاهما كانا متساويَين مع والدهما، إن لم يتفوّقا عليه، في علم الأتمان- برهمَن. الأول، سفيتاكيتو Śvetaketu، هو راعي الجزء المركزي من Chandogya-Upaniśad، أحد المصادر الرئيسية للفيدنتا Vedānta. والثاني ناسيكيتاس Naciketas، ويظهر في Kātha-Upaniśad، وهو إله الموت، Yama الذي لقّنه في الجحيم، أسرارَ اليوغا.

---

1. أودالاكا أروني من بين أشهر أنبياء الفترة الفيدية (الألفية الثانية)، وهو شخصية من عائلة أرونا. في البرهما Brahmana والأوبانيشاد، اشتهر كَ(لاهُوتيّ) بارع، حريصٍ على إقامة المعادلة التي مفادها، أن أتمان (الروح الفردية)، مطابقة للبرهمَن (المطلق). كان لديه ابنان، يقال إنّ كلاهما كانا متساويَين مع والدهما، إن لم يتفوّقا عليه، في علم الأتمان- برهمَن. الأول، سفيتاكيتو Śvetaketu، هو راعي الجزء المركزي من Chandogya-Upaniśad، أحد المصادر الرئيسية للفيدنتا Vedānta. والثاني ناسيكيتاس Naciketas، ويظهر في Kātha-Upaniśad، وهو إله الموت، Yama الذي لقّنه في الجحيم، أسرارَ اليوغا.

لوحة الفنان راجيشو يالابالي/ الهند

□□□□ □□□□□ 21*28 2018.indd 111 8/18/18 4:16 PM

مسرحية عشيات حلم/ الأردن

21*28 2018.indd 112 8/18/18 4:16 PM

والإبداع المسرحي

د. مجد القصص/ الأردن

لا يمكننا الحديث عن المرأة والإبداع المسرحي، بمعزل عن السياق التاريخي، حيث إنها جزء لا يتجزأ من صناعة هذا التاريخ، وليس ما يقول إشبنغلر: إن «الرجل يصنع التاريخ، والمرأة هي التاريخ»، إن إشبنغلر في مقولته هذه، يجرد المرأة من أنها كانت وما زالت، إنسانة فاعلة في حركة التاريخ، وعاملا مشكلا أساسيا في صياغته. قد يبدو هذا الكلام متحيزا للمرأة بجنسها الجندري، إلا أن من يرصد تاريخ البشرية ويعود إلى بداية التاريخ؛ يرى أن المرأة كانت مساهمة في عملية التغيير، ليس فقط من خلال الأمومة ومحافظتها على الجنس البشري؛ بل من خلال معرفتنا، بأنها كانت أول من اخترعت الزراعة في العالم في منطقة الرافدين، كما يؤكد علماء الآثار العراقيين، وفي مقدمتهم العلامة «طه باقر»، في كتابه (مقدمة في تاريخ الحضارات)،i وكما يذكر د. «بهنام أبو صوف» في كتابه ظلال الوادي العريق، حيث يقول لنا «إن المرأة قلدت الطبيعة بعد مراقبتها لها، وزرعت حبوب القمح في التراب، ثم حصلت على حقلها لأول مرة في تاريخ البشرية.

□□□□ □□□□□ 21*28 2018.indd 113 8/18/18 4:16 PM

منذ هذا الاكتشاف، دفعت المرأة ثمنا باهظا لتميزها، حيث إن العلاقة بينها وبين الرجل قبل اكتشاف الزراعة، كانت علاقة قائمة على الألفة والمشاركة، لتتحول بعد هذا الإنجاز إلى علاقة العبد بالسيد، وإلى علاقة المملوك بالمالك. عندما نتساءل كيف حدث هذا الانقلاب معها، يكفي أن نعرف أن الرجل بعد حصوله على ملكيته الصغيرة، وتقسيم المناطق إلى ملكيات زراعية، بدأ يتسلح ويحصن نفسه للحفاظ على هذه الملكية، مما قاده إلى تطوير وسائل دفاع وابتكار أسلحة جديدة. أدى هذا إلى إنهاء عهد الشراكة، وتحوله إلى عهد الهيمنة الأبوية (العصر البطرياركي)، هذا العصر الذي ثُبّت عبر قوة الهيمنة والسلاح، وامتد إلى آلاف السنين، وسجل التاريخ أول تراجع للنساء. لم تبدأ بودار الثورة على هذا العصر، إلا من قبل حركات التحرر النسائية في العالم الغربي، التي بدأت بعد الثورة الصناعية في القرن التاسع عشر، وانعكاس تأثير هذه الحركات على حركات التحرر النسائية في العالم العربي، التي قامت بدورها، وبتضافر جهودها مع المتنورين والمؤازرين للمرأة من الرجال، بالثورة على المفاهيم البطرياركية لإعادة التوازن في العلاقة بين المرأة والرجل.

المرأة كاتبة مسرحية:

لا بد من الاشارة إلى أن فعل الكتابة المسرحية عند المرأة العربية، سبق ظهورها على خشبة المسرح، حيث يذكر لنا التاريخ عن نساء ناشطات في القرن التاسع عشر، كانت لهن مساهمات ريادية في كتابة المسرح، وهم على التوالي، عائشة التيمورية (1840–1902)، وزينب فواز (1846–1914)، وكان للثانية مساهمة كتابية أكبر من الأخرى.

أما عن عائشة التيمورية، فقد ولدت في القاهرة، حيث تزوجت وترملت، وهي ما زالت شابة، في الوقت الذي كانت الأرملة تجد صعوبة في الحياة الاجتماعية، كما كانت تعامل المطلقة من مهانة وازدراء. إلا أن عائشة، حاولت أن تتجاوز ترملها المبكر، بالشروع في تلقي العلوم والدروس في الآداب العربية، حتى أصبحت شاعرة وكاتبة مقالات، حيث عبرت في مقالاتها عن مفاهيم الحجاب والسفور، وهي قضايا عصرها أنذاك. يقال إنها كتبت للمسرح، وإن نصوصها قد فقدت، وبعضهم يقول: بأن بعض أعمالها قد شاهد النور فوق خشبة العرض الدرامية.

أما زينب فواز التي ولدت في جنوب لبنان، وعاشت شبابها الأول في مناخ تحكمه ذكورية السلطة، هذه الذكورية التي تعتبر التعليم حصرا على الذكور، إلا أن زينب حلقت في محيطها المقيد، بلا أفق، فبعد طلاقين مبكرين، وهي لا تزال شابة، هاجرت إلى مصر، وهناك شقت طريقها، لتنشر أشعارها ودراساتها في أهم صحف ومجلات المرحلة. قبل دعوة قاسم أمين إلى تحرر المرأة، طرحت زينب فواز في مقالاتها وأعمالها الأدبية رأيها ووجهة نظرها الإصلاحية، بوضع وحقوق المرأة. كتبت للمسرح كل من المسرحيات التالية: الهوى والوفاء 1892، غادة الزهر 1895، وملك الفرس 1905.

وهنا لا بد أن نشير إلى أن مساهمة المرأة في كتابة النص المسرحي، تعتبر ضئيلة جدا مقابل مساهمة الرجل، وليس هذا هو حال المبدعة العربية فقط، ففي أوروبا ترصد لنا إحصائية للدكتورة نهى البيومي، توضح فيها أن نسبة الكتاب من النساء هي 46%.iii فكيف هو الحال في عالمنا العربي، حيث النساء يتعرضن لكثير من الضغوطات الاجتماعية والسياسية والدينية، التي

□□□□ □□□□□ 21*28 2018.indd 114 8/18/18 4:16 PM

تحول إلى حد كبير، في إخراج إبداع المرأة العربية إلى النور. إلا أن الراصد أيضاً، يرى أن إبداع المرأة في الشعر والرواية والقصة القصيرة، أكثر بكثير من مجال المسرح، وقد يكون ذلك للأسباب التالية:

أولاً: أن المرأة تستطيع أن تعبر عن نفسها بتلك الأنواع الأدبية أكثر من مجال المسرح.

ثانيا: قد يكون السبب الآخر، أن الكتابة المسرحية لا قيمة لها، إذا لم تجسد على خشبة المسرح، مما يلزم الكاتبة للخروج من البيت، والتعاون مع الرجل والجماعة، إضافة إلى ضرورة مشاهدتها للكثير من العروض المسرحية، حتى تخرج تجربتها إلى النور، وهذا بحد ذاته أمرا ليس سهلا على المرأة المتزوجة، ضمن الأعراف الاجتماعية الضاغطة.

ثالثا: أن نظرة المجتمع للمسرح كنوع أدبي، أقل وأكثر دونية من غيرها، سواء أكان من الشعر، أو الرواية، أو القصة القصيرة.

رابعا: عدم انتشار المسرح، باعتبار رواده محصورون بأعداد قليلة، مما يجعل فرص الانتشار للمبدع المسرحي، أقل بكثير من نشر الرواية، أو الشعر، وأقل بكثير من الكتابة التلفزيونية، أو السينمائية، كون المشاهدة عبرها بالملايين.

لذا؛ فإنّ كل هذه العوامل مجتمعة، تؤدي إلى أن يكون حجم المساهمة للمرأة في مجال الكتابة المسرحية أقل.

التمثيل للمسرح:

أما بما يتعلق بالتمثيل على الركح، فقد ذكرت بداية، أنه كانت هناك تجارب نسائية مع كلٍّ من (أبو خليل) القباني في الشام، ويعقوب صنوع في مصر، إلا أنه يجدر الذكر؛ بأن فن التمثيل النسائي كان مقصورا على الفنانات السوريات واللبنانيات والفلسطينيات، وكانوا إما من معتنقي الديانة اليهودية، أو المسيحية، ومنهم على سبيل المثال: ماري صوفان، ابريز ستاتي، مريم سماط، ميليا دايان، رحلو الشطاح، استر شكاح، وظلت لهن السيطرة على خشبة المسرح حتى 1914، حين امتهنت أول مسلمة حرفة التمثيل؛ وهي المطربة المصرية منيرة المهدية، التي ارتقت المسرح ليس فقط كمطربة؛ بل لتقديم روايات مسرحية على خشبة المسرح. ما كان لمنيرة المهدية أن تفعل ذلك دون دعم الرجل الصديق، وهنا يشار إلى صديقها المساند لها، فرح انطون، الذي لعب دورا هاما في إطار دور المرأة التحرري، سواء في المجتمع، أو في عالم الفن المسرحي. بهذا تكون خطوة منيرة المهدية قد فتحت الطريق أمام الكثير من النساء العربيات الموهوبات، لخوض الكفاح الفني والاجتماعي في القرن العشرين بعد ثورة 1919، من أمثال: روز اليوسف، وفاطمة رشدي، ودولت أبيض، وأمينة محمد، وعزيزة أمير، وزينب صدقي، وغيرهم.

أما عن تمثيل النساء في المسرح في عالمنا العربي المعاصر، فنجد أن معظم النساء الموهوبات يبدأن من المسرح؛ ولكن مع وجود التلفزيون والسينما، نجد الكثير من المواهب تغادر خشبة المسرح، من أجل مزيدا من الشهرة والمال. حيث إن المسرح في جميع أنحاء العالم العربي، باستثناء تونس، لا يستطيع أن يوفر وضعا اقتصاديا عادلا لعامليه، سواء أكانوا نساء أم رجالاً. لكننا لا نستطيع هنا إلا أن نذكر بعض من عرف خطورة المسرح وأهميته التربوية الثقافية، والتصق به وناضل من أجله، وأذكر من هؤلاء كل من: ثريا جبران من المغرب، ورجاء بن عمار وجليلة بكار من تونس، ونضال الأشقر من لبنان، وإقبال وعواطف نعيم من العراق، ومنى واصف وأمل عمران من سوريا، وكاتبة هذه السطور، ونادرة عمران من الأردن. كثيرات غيرهن لهم مستهماتهن المهمة، ولكن هذا البحث لا يتسع لذكرهن جميعا.

21*28 2018.indd 115 8/18/18 4:16 PM

يبقى أن أذكر إلى أن تواجد المرأة، كممثلة في المسرح العربي، متوافر في كافة الدول العربية، باستثناء المملكة العربية السعودية، حيث يقوم الشبان بأدوار النساء، أو الاستعاضة عن هذا التواجد، بنصوص تخلو من تواجد المرأة. هذا التواجد النسائي في المسرح العربي لا يعني توفرهن الدائم، ويعود السبب في ذلك إلى نظرة المجتمع الدونية لمهنة التمثيل، إضافة إلى أن النساء يعشن في مجتمعات أدانت مسبقا، كل فنان، أو فنانة، فكيف بالفتاة التي من وجهة نظرهن، تعرض نفسها جهرا وعلانية، في حين تعارفت ذهنية وفحول الأصول باعتبار كل ما يتصل بالمرأة محرم إظهاره بالعلن، وإن الدور الذي يجب أن يؤدوه، هو دور فاضلات محجبات (أمهات، أخوات، زوجات) وغير ذلك، فهن يوسمن بقلة الشرف، عاهرات، سافرات، أو منحطات، وعلى ضوء ذلك، كيف للنساء أن يظهرن على خشبة المسرح، وهذه التهم تلاحقهن على الدوام. في رأيي أن إمكانية تغيير وجهة النظر هذه، لن تتم إلا إذا تزودت المرأة في هذه المهنة، بالعلم والثقافة والأخلاق الحميدة، عندها فقط، يكون ممكنا تغيير نظرة المجتمع إلى هذه المهنة. هذا ما يقع على عاتقها، أما من جانب المجتمع، فلا بد من فك سلاسل الجهل، من خلال مؤسسات التربية والتعليم في كافة مراحله، والتعريف بمهنة التمثيل المسرحي، كفن قادر على حمل رسالة مؤثرة في مجتمعاتنا، فن جدير بالدراسة والجهد، فن جدير بالاحترام.

الأخراج:

أما على صعيد الإخراج فتطلعنا دراسة الدكتورة نهى البيومي؛ أن نسبة المخرجات في العالم الغربي تصل إلى 25% من نسبة الذكور.٧ أي إن عدد النساء، هو قليل جدا مقابل الرجل الممتهن لمهنة الإخراج. هذه النسبة ليست بعيدة عن عدد النساء المخرجات في العالم العربي، من حيث تدني النسبة إلا أنه في اعتقادي، هي أقل بكثير من أوروبا، ولأننا لا نملك إحصائية حقيقة، نكتفي برصد عشوائي لمهنة المخرجة المسرحية في عالمنا العربي. إذا ما أردنا أن نعدد النساء المخرجات في الأقطار العربية، نجد صعوبة إيجاد عدد يتجاوز أصابع اليدين في أفضل الدول المتحضرة عربيا، فمثلا في تونس لا نستطيع أن نذكر سوى رجاء بن عمار، التي حققت شهرة تجاوزت تونس، بينما هناك المئات من المخرجات اللواتي لا نعرف عن إنتاجهن الكثير، أما بسبب عدم الانتشار عربيا، أو عدم توفر التجربة التراكمية لهن في هذا المجال. أما في لبنان نذكر نضال الأشقر، التي أخرجت ثلاث أعمال مسرحية فقط، بعد أن مارست مهنة التمثيل لأكثر من ثلاثين عاما، وفي العراق نذكر عواطف نعيم، وفي سوريا نائلة الأطرش، وفي لبنان سهام ناصر، أما في الأردن فينحسر العدد، بسوسن دروزة وكاتبة هذه السطور. بينما نعد مئات المخرجات اللواتي عملن كمخرجات لمسرحيات أطفال، وكأن هذا المكان هو مكان مقبول اجتماعيا، أما عمل المرأة في الإخراج الاحترافي للكبار ما زال تحت قائمة المناطق المحرمة.

ولكي نفهم سبب هذا الانحسار في مهنة الإخراج المحترف للكبار، يجب أن نلقي الضوء قليلا على تعريف مهنة الإخراج: حيث هو باختصار إعادة صياغة جمالية، لنص مكتوب من خلال استخدام عناصر الإنتاج المسرحية الكاملة، حيث يكون المخرج، هو صاحب السيادة المطلقة على كافة عناصر العملية الإبداعية. من هذا التعريف، نستدل أن هذه المهنة تتطلب توافر الجانب القيادي عند المخرج، ومن هنا يخرج سؤالنا؛ هل تفتقد المرأة العربية لهذا الجانب؟ للإجابة على هذا السؤال، لا بد من الإشارة أولا إلى العقلية الدينية المسيطرة في تفسير الشرع الإسلامي، لمفهوم القوامة وترسيخها في الذاكرة الجمعية، بأنها تعني قوامة الرجل على المرأة، وبالتالي إعطاء الدور القيادي للرجل دون المرأة. من هنا

21*28 2018.indd 116 8/18/18 4:16 PM

تربت المرأة في وعييها الداخلي على عدم الجرأة إلى الاقتراب من المراكز القيادية. هؤلاء الذين فسروا الشريعة لموافقة مكاسبهم الخاصة، منها نسوا، أو تناسوا أن عمر بن الخطاب قد عين الشفاء بنت عبد الله العدوية مديرة للحسبة، أي بالمفهوم المعاصر اليوم (وزيرة تجارة)، وهذا مركز قيادي متقدم. المرأة قادرة على القيادة، سواء في داخل بيتها، أو خارجه، فهي تتمتع بكافة المؤهلات العقلية والذهنية، كالرجل للقيام بهذا الدور.

لكن بعض النساء اللواتي استطعن تجاوز كل هذه العقبات، وإثبات جدارتهن في المراكز القيادية المتقدمة. وبما أننا نتحدث عن مشاركة المرأة في المسرح العربي، أجد لزاما أن نأخذ مثلا أردنيا، كنموذج لنجاح المرأة في دورها القيادي في العملية الإبداعية. إنها السيدة لينا التل التي تخرجت في جامعة اليرموك بكالوريوس إدارة وأدب إنجليزي، ثم أكملت الدبلوما في تخصص التمثيل والإخراج في جامعة ويلز ببريطانيا، وشهادة الماجستير بالمسرح التعليمي في نفس الجامعة. عملت كممثلة في بداية حياتها، ثم استلمت إدارة مركز الفنون الإدائية منذ عام 1987، ولغاية يومنا هذا. إن مثل هذا النموذج ليدحض القول، بأن المرأة لا تستطيع القيام بأعمال قيادية، وبالتالي فإنها لا تصلح كمخرج، لأنها لا تستطيع أن تملك الرؤية الشاملة. وهنا لا بد من الإشارة إلى إن المرأة نفسها، تقوم بدور عدو لنفسها، فكل من الأم والجدة والجارات، يمارسن نتيجة طيلة وقت الفراغ الممنوح لهن الاستغابة، وترديد كلام الذكورة الذي لقنوه عبر آلاف السنين وصدقوه.

يبقى أن ننظر إلى الإحجام عن مهنة الإخراج المسرحي عند المرأة، وتوجهها في أكثر الأحيان إلى التمثيل له، ما يبرره، فإن عامل الشهرة الذي يتمتع به الممثل، أو الممثلة المسرحية أكبر بكثير من المخرج، على الرغم من أن المخرج، هو صاحب العملية الإبداعية كلها. وهذا نتج من جهل الجمهور لوظيفة المخرج. ربما تحتاج مؤسساتنا التربوية والإعلامية إلى العمل سوية، لتثقيف الجمهور بكافة المهن، قد يساهم ذلك بامتهان النساء لمهنة الإخراج، هذه المهنة الإبداعية القيادية الكبيرة.

المهن المسرحية الاخرى:

ما هو وضع مساهمة المرأة في كل من عناصر الإنتاج المسرحية الأخرى (الديكور، الموسيقى، الملابس، المؤثرات المرئية والصوتية)؟ مما لا

مسرحية بس بقرش/ الأردن

21*28 2018.indd 117 8/18/18 4:16 PM

شك فيه، أن مساهمة المرأة في هذه المهن محدودة جدا، باستثناء تصميم، أو تنفيذ الملابس، حيث نجد مساهمتها عالية، وهذا نابع من التربية القديمة للمرأة التي تقوم على توجيهها، إلى كل من فن التطريز والخياطة والاعمال المنزلية. أما عن مساهمتها في تصميم الديكور، فقد بدأت المرأة تدخل مجال تصميم الديكور المسرحي، بعد أن دخلت منذ زمن طويل، في مجال التصميم الداخلي في البيوت والمؤسسات. إلا أن نسبة مساهمتها الضئيلة في أعمال الديكور المسرحي، قد يعزى للجهد العضلي الذي يتطلبه هذا النوع من العمل في المسرح، والذي يحتم وجود الرجل لتمتعه بالقوة العضلية. إلا أن بعض النساء رفضن هذا المبدأ، وقمن بتصميم ديكوراتهن، حيث استعن بالعمال الذكور، لتنفيذ بعض الأعمال الصعبة. أذكر في الأردن مصممتان للديكور متميزتان، هما على التوالي هالة شهاب، وجميلة علاء الدين، اللتان اثبتتا تميزهما في هذا المجال. أما عن الإضاءة، فإن ابتعاد المرأة في هذا المجال كبير جدا، للأسباب البيولوجية نفسها، إلا أن بعض النساء في العالم العربي، وفي الأردن خاصة، اخترقن هذه المهنة الموسومة بالذكورية واثبتن وجودهن فيها. أما الموسيقى فلا يوجد أية امرأة في العالم العربي، سجلت تأليفا موسيقيا واحدا لعمل درامي مسرحي، فنحن لا نشاهدها على المسرح، إلا كمطربة، أو عازفة على إحدى الآلات الموسيقية.

إن المرأة الآن تدخل إلى الجامعات، وأكاديميات الموسيقى المنتشرة في عالمنا العربي، ولا بد من تشجيعها للالتحاق بقسم التأليف، الذي نادرا ما تسجل فيه النساء، حيث يشبه هذا التخصص وإلى حد كبير مهنة المخرج، فالمؤلف الموسيقي، أو قائد الأوركسترا، هما مهنتان قياديتان في العمل الموسيقي، والمرأة قادرة لو فتح المجال لها، بعيدا عن التعصب الذكوري، وبإعطائها فرصا متساوية مع الرجل، كي تثبت وجودها في هذا الحقل الإبداعي.

لذا؛ فإن مساهمة المرأة في المسرح العربي، بدأت مع بداية إدخال الرواد للمسرح، كأداة فاعلة في التأثير على العملية التربوية الثقافية. كما أن مساهمة المرأة للكتابة المسرحية، قد سبقت مساهمتها في المهن الأخرى المسرحية، كالتمثيل وغيره. كما نلاحظ أن تطور مساهمة المرأة في الإبداع المسرحي، كان مصاحبا لتطور حركات تحرر المرأة في العالم العربي، المدعومة من قبل الرجل العربي المتنور، الذي بدونه لما استطاعت المرأة تحقيق هذا الإنجاز الكبير، في أخذ دورها الحقيقي في صناعة التاريخ.

وكذلك فإن معرفة نسبة مساهمتها في كافة المهن المسرحية، تجعلنا نرى أنها قد أخذت فرصتها بشكل متوازن مع الرجل في مهنة التمثيل، وأن مساهمتها الأعلى في مهنة تصميم وتنفيذ الملابس، كما قلت مساهمتها في الكتابة المسرحية ومهنة الإخراج وتصميم الديكور. أما عن مساهمتها في الموسيقى، فقد توازنت في مهنة الغناء والعزف، وانعدمت في مهنة التأليف وقيادة الأوركسترا.

إننا نرى في هذا تشكل صرخة للنساء في وجه التعصب الذكوري والتمييز الجندري. إلا أننا لا نعفي المرأة من المسؤولية، وعليها أن تثق بقدراتها في التقدم نحو المهن الأخرى، وذلك لن يتحقق إلا بمزيد من التثقيف والمعرفة، مع الإصرار على دور الرجل الداعم لقضاياها، الذي بدونه لن تستطيع التقدم. فمعركتها ليست مع الرجل؛ بل هي ضد التخلف والتعصب والتمييز، الذي يكرسه كل من النساء والرجال معاً.

الهوامش

1- طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارت، 1951، ص 198.

2- انظر: بهنام ابو صوف، ظلال الوادي العريق.

3- نهى البيومي، لغز التغيير والاقتحام الانثوي للوجود، الوطن، ٢٠٠٦/٤/١٧.

4- أثير محمد علي، المرأة والمسرح العربي: بدايات وتقاطعات حداثية، الحوار المتمدن، العدد ١٤٧٤، ٢٠٠٦/٢٧٢.

5- نهى البيومي، لغز التغيير والاقتحام الانثوي للوجود، الوطن، ٢٠٠٦/٤/١٧.

□□□□ □□□□□ 21*28 2018.indd 118 8/18/18 4:16 PM

فيلم «الدائرة»
The Circle

مجدولين أبو الرب/ الأردن

مع انفجار ثورة المعرفة الرقمية وتكنولوجيا الاتصال، وعلو صوت الجهات المطالبة بحقوق الإنسان، وظهور الهجمات الإرهابية، صارت المكاشفة والشفافية ممكنة وضرورية، وراح العالم يغذّ السير نحو نهاية عصر الخصوصيّة. الأمر الذي أثار العديد من الأسئلة حول الحدّ الذي يمكن أن تتراجع فيه الخصوصيّة، وإلى أيّ حدّ يمكن للأفراد والمؤسسات والحكومات أن تكون شفّافة؟ وما مكان المعايير الأخلاقيّة من هذه المكاشفة؟ وهل ينبغي على الفرد أن يضحّي بخصوصيَّته، ويوافق على اختراقها مقابل توفُّر الأمن والحماية؛ حيث صار مبرِّر منع الجريمة والإرهاب، مسوِّغًا ومبررًا، لتقبُّل الفرد بمراقبة الجهات المسؤولة له.

□□□□ □□□□□ 21*28 2018.indd 119 8/18/18 4:16 PM

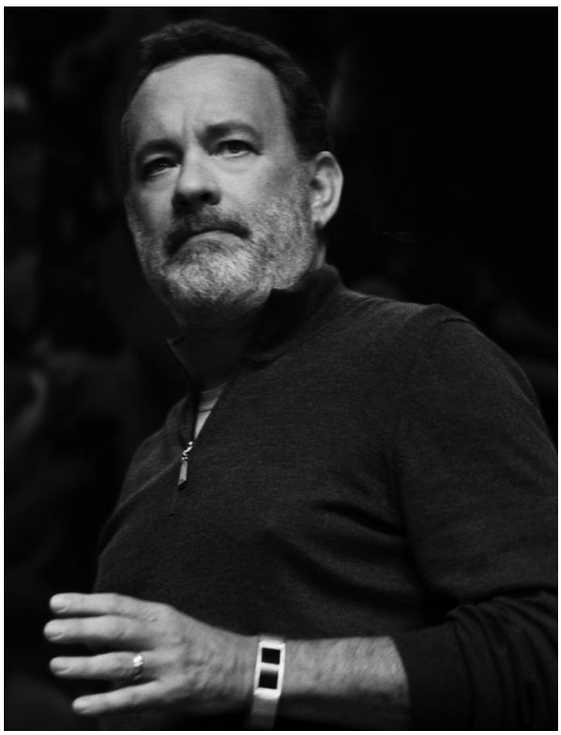

يثير فيلم الدائرة The Circle (إخراج جميس بونسولت)، الجدل حول هذا الموضوع، محاولاً الكشف عن تداعيات توغُّل الشفافية والمكاشفة على حساب الخصوصيّة، في حكاية تُبرز ما يمكن أن يحدث، عندما يعيش الفرد في عالم ممتلئ بكاميرات المراقبة الذكيّة، ويتمّ رصد حركاته، وتصير خصوصيّاته متاحة للآخرين، في ظلّ تكنولوجيات التَّواصل الذكيّة.

الفيلم مأخوذ عن رواية الدائرة «ذا سيركل» للكاتب «ديف إيجرز»، وفيه نرى الشابة ماي هولاند (الممثلة إيما واتسون)، تحصل على عمل في شركة (سيركل)؛ أكبر شركة عالمية متخصصة في مجال التكنولوجيا والتواصل الاجتماعي، ويرأسها إيميرين بايلي (الممثل توم هانكس). تعتبر «ماي» نفسها محظيّة لنيلها هذه الوظيفة، ويزداد انبهارها بالمنشأة التي تعمل مثل خليّة نحل في حلّة عصريّة، ولا يغفل أرباب عملها الجوانب الترفيهيّة، من خلال ترتيب أنشطة رياضيّة واجتماعيّة للموظفين.

إيقاع الفيلم

في الفيلم محاولة لتقديم مَشاهد تتَّسم بالإيقاع السَّريع؛ سمة عصرنا هذا، إن كان على مستوى اللقطات، وتنقُّلها في زومات قصيرة سريعة في بعض المشاهد، أو الإيقاع السريع لطبيعة حركة الشخصيّات، خاصة في المَشاهد المتعلقة بالعمل في الشركة، لكنّنا لا نستطيع أن نقول إنّ إيقاع الفيلم كان سريعًا كما في أفلام الأكشن؛ إنَّما كان إيقاعًا يشبه إيقاع ماكينة في خط إنتاج في مصنع ما، هي تتحرَّك بسرعة، لكنه إيقاع رتيب يكرِّر نَفسه ويراوح في مكانه. وقد لاحظنا هذا الإيقاع في أداء الموظفين في «سيركل»، وفي تتبُّعنا لمشهد «ماي» في اليوم الأوَّل من عملها، عندما كان زميلها يعرِّفها بالمنشأة، فكانت تلهث وراءه في تنقُّلها بين أقسام المؤسسة.

ونستشفّ هذا الإيقاع في قول «آني» زميلة «ماي» وصديقتها، حيث تقول: «إنني متأخرة عن كل شيء».

أمّا المشاهد التي ترصدها كاميرا See Change، التي نقلت الفيلم –نسبيًّا– إلى أجواء الـ«أكشن»، خاصة في مطاردة ميرسر (الممثل إيلارد كولترين)، التي انتهت بشكل مأساويّ، فتخرج عن هذا النَّمط، لكنَّها جزئيّة في الفيلم رغم أنّها مؤثِّرة.

هذا الإيقاع، نجد عكسه تمامًا، في حوارات مؤسس الشركة ورئيسها بايلي(الممثل توم هانكس)، عندما كان يقف على منصّة المسرح، أمام الموظفين في الاجتماعات التي يخوض فيها، حوارات هادئة ذكية وموجَّهة، ليقنعهم بأهميّة ما يقومون به، من ذلك نذكر وقفته، لتسويغ المُكاشفة والشفافية بلا حدود ولا ضوابط، بهدف المحافظة على حقوق الإنسان، والحدّ من الجريمة والإرهاب، وإتاحة التجارب للأشخاص العاجزين،

21*28 2018.indd 120 8/18/18 4:16 PM

كي يعيشوا التجربة ولا يُحرموا منها، وذلك عبْر مُشاهدتهم لتجارب غيرهم، ليشعروا بها، وكأنهم يعيشونها.

يقول «بايلي»: «تخيَّلوا تطبيقات حقوق الإنسان.. النشطاء لا يجب أن يحملوا كاميرا بعد الآن. بات الأمر سهلًا الآن، ولا يتطلَّب أكثر من لصق كاميرا على كلِّ حائط.. الإرهاب وأعمال العنف، لا يمكن أن تُخفى بعد الآن.. سنراهم ونسمعهم، سنسمع ونرى كل شيء بينما يحدث، سنطلق عليها سي شينج See Change». كان يروِّج لكاميرات السيركل التي تغطّي الرؤية كاملة للمكان بـِ(360) درجة، بلا أسلاك، ولا تحتاج لترخيص. كاميرا صغيرة بحجم كرة التنس، بألوان مختلفة (مثل الحرباء) حتى لا تتم ملاحظتها، تفيد في رصد حركة المرور، وحالة الطقس... والتعرُّف على الوجوه وتتبُّعها. يقول «رايلي» إنّ ميزة عمل السيركل في كونها تقلل من جرائم الخطف والاغتصاب والقتل بنسبة 99%.

كاميرا سي شينج:

بسبب كاميرا (سي شينج) تم إنقاذ «ماي» عندما تسلّلت في وقت متأخر من الليل لتجدِّف في البحيرة، انقلب بها القارب، وكانت كاميرا سي شينج تتابع كل ما يحدث، وتبثّه باستمرار، ومن هنا جاءت النجدة لـ«ماي» دون أن تتصل بأحد.

تبرز «ماي» في عملها في (قسم تجارب العملاء)، ويقنعها «رايلي» بخوض تجربة جديدة؛ أن تحمل كاميرا ترصد كل تحركاتها، وتفاصيل يومها، ليتم بث ما تسجله الكاميرا مباشرة لملايين المشاهدين على الكوكب. بعد زمن من التجربة، وفي اجتماع الموظفين المعهود، تمَّ توجيه السؤال التالي لها: «هل تتصرَّفين بشكل أفضل، أو أسوأ عندما تعرفين أنَّكِ مُراقَبَة؟». تُجيب: «الأسرار تمثل الكذب.. هي التي تجعل الجرائم ممكنة». وتضيف: «المعرفة حق بشري أساسي. الوصول لجميع التجارب البشرية، هو من الحقوق الأساسية للإنسان». ثم تعلن «ماي» أنها ستصبح شفافة تمامًا، سترتدي كاميرا سي شينج في كلّ الأوقات.

□□□□ □□□□□ 21*28 2018.indd 121 8/18/18 4:16 PM

تشارك «ماي» العالم خصوصيّاتها بحماسة وبهجة، غير عابئة بتحذيرات صديقها «ميرسر»، أو زميلتها «آني»، أو زميلها «تايلر في»، لكن هذه الحماسة سرعان ما تأخذ في التَّراجع بعد أن تتسبَّب في أذى لأسرتها وأصدقائها، خاصة «ميرسر» الذي أُلصقت به تهمة «قاتل الغزلان»، فأينما تتمّ مشاهدته، كان يحدَّد موقعه، ثم تلحق به أجهزة الرَّصد (كاميرا وموبايلات، يصوِّرونه لأنَّ الملايين يشاهدون، يواصلون ملاحقته عبْر كاميرات الفيديو، وهو يحاول الهرب بسيارته، تتبعه كاميرات سي شينج، ثم تلاحقه طائرة إلكترونية لتقوية بثّ الصوت، فترجوه «ماي» أن يتوقَّف، تسقط سيارته عن الجسر. وهو الأمر الذي أحدث انقلابًا في نظرة «ماي» إلى الأمور، وبداية شكِّها في حقيقة ما تعمله شركة الـ«سيركل».

وجه آخر للشفافيّة: الثَّروة والسُّلطة

في محادثة لـ«ماي» مع زميلها «تايلر في» تتساءل: «أين تذهب جميع البيانات؟ هل تُخزَّن في مكانٍ ما؟».

يُريها «تايلر» مكانًا سريًّا يقع في طابق تحت الأرض، حيث تخزِّن شركة «سيركل» كلّ ما تجمعه من بيانات في كلّ لحظة، يقول «تايلر»: «الخطة هي أنَّ أيّ شيء مسجَّل، أو تتمّ رؤيته، أو بثّه، يتمّ تخزينه وتحليله ويصبح مُتاحًا للـ«دائرة»... كل خطوة، وكل نَفَس، كل شيء مخزَّن، يمكنهم استخدامه كما يريدون.. كلّ بيانات الأفراد في «الدائرة» يتمّ دراستها واستثمارها».

كان الوجه الآخر للشفافيّة، -كما يقول تايلر- يتمثل في استخدام البيانات الشخصيّة، من أجل الثروة والسلطة.

القادة يعيشون فوق الشفافيّة

ينتهي الفيلم بحركة ذكيّة من «ماي»، ففي جلسة اجتماع موظفي السيركل المُسرحة، وبينما تقف هناك إلى جانب رئيس الشركة «بايلي» ومساعده «توم»، وعلى مرأى وسمع الموظفين المحتشدين

21*28 2018.indd 122 8/18/18 4:16 PM

أمامها، وفيما البثّ يعمل ليكرِّس شعار الشفافيّة؛ الشعار الأثير للشركة، تقول «ماي»: «لقد صرتُ شفّافة من جديد».

وتضيف: «تعلمون النفاق المعتاد للعالم الرَّقمي، نريد كل شيء في سحابة، ومع ذلك قادتنا يعيشون فوقها، لذلك أريد أن أدعو بايلي وتوم، للانضمام لي في هذه التجربة التي قاما بإنشائها، ليكونا مثالًا للـ«دائرة» وللعالم. أن يكونا شفافين». وقبل أن يتكلم أيّ منهما، وبينما هما صامتان لهول المفاجأة والإحراج، تعلِّق «ماي» على كلٍّ منهما كاميرا سي شينج، لتصير كل حركة، ومكالمة ورسالة، حتى الحسابات الشخصية، والسرية لهما، متاحة للعامة.

تشير نهاية الفيلم إلى استحالة كبح جماح الشفافيّة والمكاشفة، وأنّ «الخصوصيّة» في طريقها إلى الاضمحلال، ولم يكُن الحلّ في وضع ضوابط للشفافية، إنَّما جاء الحل، بأن تطال هذه الشفافية خصوصيّة مَن هم فوق الجميع، أولئك الذين يروِّجون للشفافيّة التي تنتهي صلاحيَّتها، عندما تقترب من تخومهم.

تقييم الفيلم

هذا الفيلم من إنتاج ايمج نيشن أبوظبي، بالتعاون مع شركة باركس ماكدونالد برودكشنز في العام 2017. وعلى الرغم من أنه يطرح قضية مثيرة للجدل، وعلى الرّغم من نجومية وكاريزما «توم هانكس»، وتألُّق «إيما واتسون» في أفلام

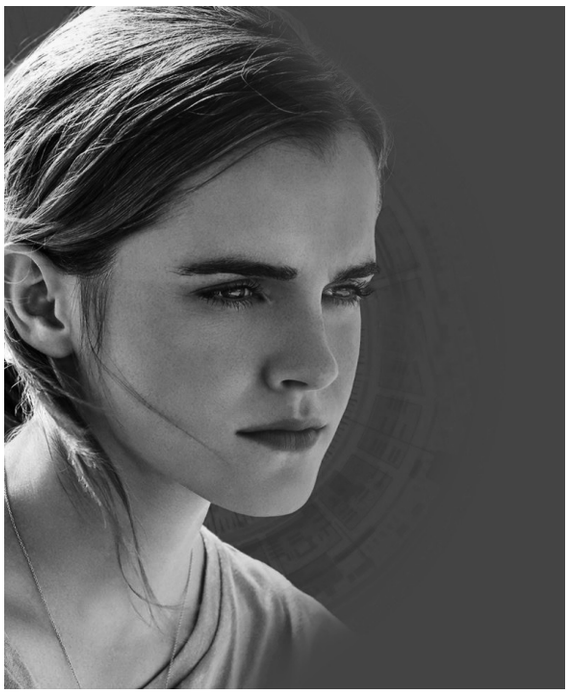

أخرى، إلّا أنه حاز على تقييم (5.3 من 10)، وهو تقييم لا يفاجئ مَن شاهد الفيلم، فَمَن يعوِّل على «توم هانكس»، سيُصدم بدَوْره المحدود الظُّهور في الفيلم، وفي مَشاهد أدّاها ببرود لا يمتّ بصلة لأدائه المعهود، ناهيك عن الرَّتابة في أداء «إيما واتسون»، الذي جاء بوتيرة واحدة ومملّة، ربَّما لأنَّ القصة نفسها (ذا سيركل) لا تصل بالقارئ، أو المُشاهد إلى التوتُّر المطلوب، حيث نجد الصِّراع في الفيلم باهتًا لا تتحدَّد أطرافه، ولا يصل إلى ذروة. ولا ننسى أنَّ الفيلم تمَّ التَّرويج له على أنه من أفلام الخيال العلمي، لكن طبيعة الخيال فيه لا تفاجئ المُشاهد في العام 2017، حيث صار الواقع مِن حوله يُشبه ما يقوله الفيلم، ولا يذهب به إلى ما هو غير مألوف.

□□□□ □□□□□ 21*28 2018.indd 123 8/18/18 4:16 PM

الفكر المتطرف

□□□□ □□□□□ 21*28 2018.indd 124 8/18/18 4:16 PM

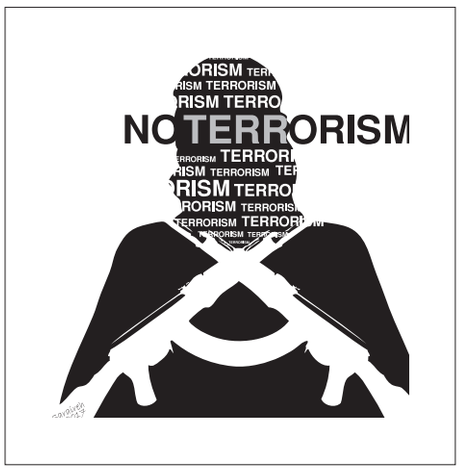

الفن في مواجهة التطرف

غدير سعيد حدادين/ الأردن

عبر تاريخ البشرية الطويل، شكلت الفنون بمختلف حقولها، أداة ووسيلة يعبر فيها الإنسان كفرد، أو جماعة عن رؤيته وأسئلته ومعتقداته، عن مخاوفه وآماله، عن قبوله ورفضه، بهذا المعنى فإن الفن، هو عملية تفاعل الإنسان كفرد، أو جماعة مع ذاته ومحيطه الأشمل، سواء أكان هذا التفاعل إيجابيا أم سلبيا، فإن الفن هو من أكثر المجالات حساسية، كونه يستهدف التأثير في الوعي والذوق العام، إذن الفن هو رد فعل الإنسان على تحديات الواقع، من خلال توظيف التعبيرات الفنية المختلفة، وبكثافة في مخاطبة حواس الإنسان ووعيه، بهدف شحذه، وإيقاظه وتعميقه، بما يؤسس لوعي جمعي، يقوم على القيم الإيجابية والجمالية العالية، في حياة وعلاقات وسلوك الجماعة البشرية، هنا تتجلى القيمة الكبرى لدور الفن (رسم، موسيقى، غناء، نحت، تصوير، تمثيل، رقص.... وغير ذلك)، في حياة أي شعب، أو أمة، لما يمثله من وسيلة مدهشة للتعبير عن واقع وطموحات هذه الأمة، هذا إلى جانب ما يمثله من قوة في مواجهة الاختلالات الاجتماعية،

□□□□ □□□□□ 21*28 2018.indd 125 8/18/18 4:16 PM

لذا؛ نجد أن الفنون كانت عبر التاريخ وما زالت، أداة مقاومة للإنسان في مواجهة الظلم والقهر والاستغلال والتمييز والعنصرية، كما أنه كان دائما رافعة جبارة، تستخدمه الشعوب المقهورة في مواجهة قوى الاستعمار والاحتلال، وأيضا كان وسيلة لتعبير المقهورين عن كل ما يتعرضون له من ظلم، هنا يمكن استحضار أغاني وشعر ورسومات المعتقلين مثلاً، أو أغاني المقاومة عند شعوب العالم المختلفة، أو التعبيرات الفنية عن قهر المرأة، أو استغلال العمال، أو العبيد.

ومع ذلك؛ فإن توظيف الفن واستخدامه، لا يقتصر بطبيعة الحال على القوى الإيجابية في المجتمعات، بل تستخدمه أيضاً، بفاعلية الحركات الرجعية والمتطرفة والعنصرية والأرهابية، من أجل تمرير مواقفها، والترويج لمعتقداتها ونشرها، اليوم وفي ضوء ما تشهده البلدان العربية، من انفلات وانتشار لفكر وثقافة وسلوك التطرف، وصولا للإرهاب، وما ترتب على ذلك من تدمير للمجتمعات العربية، وتمزيق لنسيجها الاجتماعي، وتعميم لثقافة القتل والموت والطائفية، كل هذا، يضع الفن والنخب، التي تعمل في مجال الفنون في الأردن، والعالم العربي أمام مهام وتحديات كبرى، وذلك من أجل التصدي للتطرف، وحراسة الوعي العام وتغذيته بالقيم الإنسانية والوطنية الجميلة، وتعزيز الانتماء للأمة والشعب والوطن، والتصدي لكل ممارسة، أو سلوك يقوم على التطرف والأقصاء والتمييز، سواء أكان ضد أفراد، أو جماعات، أو شعوب.. بكل ما يستدعيه ذلك ارتقاء بالمعايير في الإبداعات الفنية، من حيث الشكل والمضمون في مواجهة كل ما من شأنه الترويج للهبوط في أي مجال كان، لهذا فإن عدم نهوض الفنانين بدورهم في هذه المرحلة، وانكفائهم، أو خوفهم، أو الاكتفاء بدور المتفرج، هو خيانة لدور ووظيفة الفن الذي يجب أن يقف، ليقاوم ويحمي الوعي العام، ويزرع في الأجيال القادمة بذور وقيم الخير والإنسان والأمل، في مواجهة ثقافة التدمير والتمزيق والقتل والهبوط.

□□□□ □□□□□ 21*28 2018.indd 126 8/18/18 4:16 PM

□□□□ □□□□□ 21*28 2018.indd 127 8/18/18 4:16 PM

عمل الفنان سامي محمد/ الكويت

□□□□ □□□□□ 21*28 2018.indd 128 8/18/18 4:16 PM

المسألة الديمقراطية في الفكر القومي العربي المعاصر

نماذج مختارة

أ.د. أحمد ماضي/ الأردن

من المعلوم أن الديمقراطية كموضوع للنظر والممارسة أيضاً، لم تستأثر باهتمام ملحوظ من جانب العرب في القرن العشرين. وفي السنوات الأخيرة برزت مسألة الديمقراطية، واشتد بروزها على صعيدي الفكر والنظر. أما ممارستها، فعلى الرغم من أنها حققت بعض الانجازات المتواضعة هنا وهناك، إلا أنها لا تزال مطلباً ملحاً، وبعيداً عن التطبيق على النحو الذي يرضي الشعوب العربية.

21*28 2018.indd 129 8/18/18 4:16 PM

ما تقدم لا يعني غياباً تاماً لتناول الديمقراطية كموضوع للنظر في الفكر العربي المعاصر. فقد صدرت كتبٌ ومقالات تعرضت لهذا الموضوع. بيد أن الاهتمام الأكبر بها لم يبرز إلا في السنوات الأخيرة.

ولا شك عندي في الدور الذي يؤديه مركز «دراسات الوحدة العربية» في تفعيل الاهتمام بالديمقراطية. فقد قام بتنظيم سلسلة من المحاضرات حول «الديمقراطية في الوطن العربي» خلال عام 1979، نُشرت في المجلة التي يصدرها «المستقبل العربي»، وواصل اهتمامه بها من خلال ما نشر في المجلة المذكورة فيما بعد. وتبع ذلك إصداره كتاباً بعنوان «الديمقراطية وحقوق الإنسان في الوطن العربي» عام ١٩٨٣. وازداد اهتمام المركز بالديمقراطية، حيث خصص لها ندوة من ندواته. وقد صدرت بحوث وتعقيبات ومناقشات تلك الندوة التي اضطر إلى عقدها في قبرص في كتاب بعنوان «أزمة الديمقراطية في الوطن العربي» عام ١٩٨٤. وكانت بُذلت محاولات للسماح بعقدها في إحدى الدول العربية، إلا أن رفض هذه الدول حال دون عقدها في أي منها. وتجدر الإشارة إلى أن المركز يواصل اهتمامه بالديمقراطية إلى هذه اللحظة.

وألفت الانتباه إلى أن المجلس القومي للثقافة العربية، نظم ندوة حول «النظم العربية والديمقراطية» في الفترة بين ٢٠-٢٢ تموز من عام ١٩٨٥، وذلك في إطار إحياء ذكرى ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٣. وقد صدرت بحوثها وتعقيباتها ومداخلاتها في كتاب عام ١٩٨٦.

وألحظ ازدياد اهتمام الإسلاميين بالديمقراطية والشورى، محاولين بيان أوجه الشبه، وأوجه الاختلاف بينهما. وفي معتقدي أن هذا الأمر يحتاج تناولاً منفرداً. ومن أهم الكتب التي صدرت في هذا المجال, من الناحية البحثية: الشورى في الإسلام (في ثلاثة أجزاء) وقد صدرت عن المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية (مؤسسة آل البيت)، عام ١٩٨٩. وكتاب «فقه الشورى والاستشارة» من تأليف الدكتور توفيق الشاوي، وقد صدر عام ١٩٩٢.

أما من الناحية الأيديولوجية، فمن أهم الكتب التي صدرت في مجال التصدي للديمقراطية في الأردن، كتاب «نقض النظام الديمقراطي»، من تأليف الدكتور محمود الخالدي، وقد صدر عام ١٩٨٤.

كما ألحظ اهتمام اليساريين بالديمقراطية.

ولعل أبرز كتاب في هذا الصدد «بيان من أجل الديمقراطية» الذي صدر عام ١٩٧٨. وهو من تأليف برهان غليون. ويبدو أن الكتاب لم يحظ بالرواج, كما حظيت كتب غليون التي صدرت فيما بعد, وقد يكون الكتاب المذكور مجهولاً لدى أغلبية المثقفين والمشتغلين بالسياستين النظرية والعملية.

ومن أبرز الكتب ذات التوجه الماركسي في تناول الديمقراطية، كتاب «الثورة الديمقراطية العربية»، الصادر عام ١٩٨٢، وهو من تأليف إحسان مرّاش.

ومن أهم الكتب التي ظهرت في الأردن إضافة إلى «الشورى في الإسلام»، كتاب «الديمقراطية هي الحل» لحسني عايش ١٩٩٢، وكتاب «الديمقراطية وسيادة القانون في ألمانيا - في الأردن» عام ١٩٩٢, (ندوة) وكتاب روبرت دال «الديمقراطية ونقادها» عام ١٩٩٥، وعن دار الساقي كتاب ألان تورين «ما هي الديمقراطية» عام ١٩٩٥.

أمّا الاتجاه القومي بمعناه الواسع، ففي رأي الدكتور عصمت سيف الدولة أن الديمقراطية «لم تدرس بعد دراسة كافية في الفكر القومي، الذي يتضمن في داخله كافة المدارس الفكرية المختلفة في شأن الديمقراطية. ولسنا نعرف شيئا قيل عن المفهوم القومي لـ «سيادة القانون». (الطريق إلى الديمقراطية, 1970، ص١٣).

ويواصل الدكتور سيف الدولة نقده لتيار الفكر القومي السائد, فيقول إنه إذ «يدعو بإلحاح إلى الثورة العربية من أجل إقامة دولة الوحدة الاشتراكية الديمقراطية، لا يجد مكاناً في الحديث

□□□□ □□□□□ 21*28 2018.indd 130 8/18/18 4:16 PM

عـن الثـورة، للحديـث عـن الديمقراطيـة، أو عـن «سـيادة القانـون» (المرجـع السـابق، ص١٤)

وجديـر بالذكـر أن الدكتـور سـيف الدولـة، في رأيـي، كان مـن أبـرز المفكريـن القوميـين في العقديـن الأخيريـن مـن القـرن الفائـت على الأقل. وقـد اهتـم اهتمامـاً واضحـاً بالديمقراطيـة، وبسـيادة القانـون والحريـة. وأهـم مـا صـدر لـه في هـذا المضمـار، كتـاب «الطريـق إلـى الديمقراطيـة، أو سـيادة القانـون في الوطـن العربـي»، وذلـك في عـام ١٩٧٠.

لا ريـب في أن أعـلام الفكـر القومـي العربـي في الوطـن العربـي إضافـة للدكتـور سـيف الدولـة، هـم: سـاطع الحصـري، علـي ناصـر الديـن، قسـطنطين زريـق، زكـي الأرسـوزي، ميشـيل عفلق، منيـف الـرزاز، علـى أقـل تقديـر.

مـن الصعوبـة بمـكان، أن أحـاول الإجابـة عـن السـؤال المطـروح في هـذا البحـث مـن ناحيـة؛ لأن الموضـوع يحتـاج اسـتقصاء وغوصـاً، مـن ناحيـة أخـرى.

ولكـن؛ في ضـوء اطلاعـي الـذي قـد يكـون محـدودا علـى كتابـات أعـلام الفكـر القومـي العربـي المذكوريـن آنفـاً، أسـتطيع إبـداء الملحوظـات الآتيـة: أؤكـد أنهـا ملحوظـات أوليـة لا بـد مـن الارتقـاء بهـا، وتعميقهـا بمزيـد مـن البحـث والـدرس. وربما يفضي البحث إلى أن جميـع الاتجاهـات التـي ظهـرت وسـادت في الفكـر العربـي المعاصـر، سـواء أكانـت قوميـة، أو ماركسـية، أو ليبراليـة، أو إسـلامية، لـم تـولّ الديمقراطيـة علـى صعيـدي النظـر والممارسـة، مـا تسـتحق مـن اهتمـام. وفي السـنوات الأخيـرة ظهـرت انتقـادات وانتقـادات ذاتيـة مثيـرة بشـأن هـذا الأمـر.

ملحوظاتـي الأوليـة بخصـوص الـرأي الـذي أبـداه الدكتـور سـيف الدولـة، والذي مفـاده أن الديمقراطية لـم تـدرس دراسـة كافيـة في الفكـر القومـي، هـي: أرى أن سـاطع الحصـري لـم يكـن معنيـاً بهـا، إنمـا كان معنيـاً، في المقـام الأول، بالقوميـة التـي شـغلت بالـه، وخصـص لهـا جُـل كتاباتـه ومحاضراتـه ونشـاطاته ومواقفـه.

وإذا أنعمنـا النظـر إلـى كتـاب علـي ناصـر الديـن «قضيـة العـرب»، وهـو أهـم كتـاب لـه في المجـال القومـي، وأيضـاً مشـروع الاتحـاد العربـي الـذي وضعـه، فإننـا لا نلحـظ أن الديمقراطيـة كانـت هاجسـاً مـن هواجسـه.

أمـا الدكتـور قسـطنطين زريـق، فلـم يُعـن بالديمقراطيـة في أهـم كتـاب لـه في المجـال القومـي، أعنـي «الوعـي القومـي». علمـاً بـأن كتابـه الأخيـر الموسـوم بـ «العروبـة وفلسـطين حـوار شـامل مـع قسـطنطين زريـق»، الصـادر عـن مؤسسـة الدراسـات الفلسـطينية في أيـار ١٩٩٦، تضمـن أقـوالاً تؤكـد الارتبـاط العضـوي بـين العلـم والديمقراطية والنهضة القوميـة وغيرهـا مـن العوامـل، التـي يجمعهـا كلهـا مفهـوم واحـد هـو مفهـوم النهضـة القوميـة، أو مفهـوم التحـرر بصفتـه الشـاملة، (الكتـاب المذكـور، ص١٧).

ويثيـر زريـق في الحـوار المذكـور أمـراً في غايـة الأهميـة بالنسـبة إلينـا، وهـو موقـف الأكثريـة مـن الأقليـة، فيقـول إن الأكثريـة هـي «المؤهلـة لاحتضـان الأقليـة ولنشـر الطمأنينـة في صفوفهـا بشـأن احتـرام حقوقهـا حاضـراً ومسـتقبلاً. وهـذه الطمأنينـة لا تحـدث ولا تسـتقر بالقوانـين والأنظمـة، وإنمـا نتيجـة تصـرف أربـاب الحكـم وغيرهـم مـن أبنـاء الشـعب. وعلـى الأقليـة، مـن جهـة مقابلـة، ألا تقـف حجـر عثـرة في سـبيل تطـور الأكثريـة والوطـن عامـة، وألا تعـادي الأكثريـة باللجـوء إلـى سـند سياسـي خارجـي مثـلاً» (المرجـع السـابق ٢٧-٨).

ويعتقـد الدكتـور زريـق في أن «التقـدم إنمـا يأتـي عـن طريـق الحـوار، وهـو أسـاس الديمقراطيـة» والعمـل التربـوي بمعنـاه الشـامل «لا يتـم إلا في مجتمـع ديمقراطـي» (المرجـع السـابق، ص 32).

□□□□ □□□□□ 21*28 2018.indd 131 8/18/18 4:16 PM

وفي معتقده أيضاً أن الإيمان بالديمقراطية يوجب القبول بنتائج الانتخابات التي جرت في الجزائر، وأدت إلى فوز جبهة الإنقاذ. يقول الدكتور زريق إنه كان على السلطة في الجزائر «أن تسلم الحكم لمن فاز بحسب الأصول الديمقراطية» (المرجع السابق، ص٤١).

وعلى الرغم من هذه الأقوال التي تدل على قدر معين من الاهتمام بالديمقراطية، إلا أن الدكتور زريق يُعنى بالعقلانية، التي هي «الإقدام» على معالجة الشؤون العامة والخاصة بالإدراك الواعي والتفكير النير والأساليب التي يقرها العلم...» (المرجع السابق، ص92).

ولعلنا إذا نظرنا إلى مشكلاتنا كلها: التبعية، والعجز عن التغلب على الخطر الصهيوني، وتسلط أنظمة الحكم وتعثر تقدمنا الاقتصادي، وتفشي الفساد الاجتماعي، وتردي الأوضاع التعليمية، وسواها من المشكلات، «رأينا في رأس جذورها ضآلة العقلانية وضمورها...»

أمّا زكي الأرسوزي، فلم يستعمل كلمة الديمقراطية إلا نادراً، علماً أنه تناول شكلها ومضمونها, وبقدر كبير من التفصيل في كتابه «الجمهورية المثلى» الصادر عام 1965، التي هي برأيه مماثلة بالتكوين والمعنى لكلمة «ديمقراطية». وأن الاختلاف في تلون المعنى بين كلمتي «جمهورية» و«ديمقراطية»، يرجع إلى الاختلاف في البنية بين العرب واليونان» (الجمهورية المثلى، ص١٤٤).

وبلغ إيمان الأرسوزي بالديمقراطية مبلغاً؛ دعاه إلى وجوب إخضاع القضاة لانتخاب المواطنين أسوة بأعضاء مجلس النواب، شريطة أن تتوفر في المرشح جملة أمور. (المرجع السابق، ص١٣٨).

وكان الأرسوزي في كتابه «مشاكلنا القومية وموقف الأحزاب منها»، الصادر عام ١٩٥٨، قد عني بالديمقراطية، فأكد أن الديمقراطية الحديثة تقوم على المبدأ الآتي: «لكل مواطن الحق في تعيين مصيره، وفي الاشتراك مع إخوانه بتعيين مصير الدولة». ومن مستلزمات الحق المذكور «حرية إصدار الصحف، وحرية تأسيس الأحزاب، وكل شرط تقيد به الدولة هذه الحرية، تنتقص به من الحق الذي هو أس الديمقراطية الحديثة، اللهم إلاّ الشروط التي يتقيد بها المواطن عند اشتراكه في الانتخابات العامة، كشرط السن وسلامة العقل والسلوك؛ أي أن لا يكون مجرداً من الحقوق المدنية» (المرجع السابق، ص3). ومن الأمور الجديرة بالذكر أن الأرسوزي في الكتاب السالف الذكر انتقد توزيع الكراسي النيابية على أساس ديني، قائلاً «وأي علاقة للديمقراطية بالعقيدة إسلامية كانت، أم مسيحية..!!» (المرجع السابق، ص81).

واللافت للنظر أن الكتاب المذكور يضم بين دفتيه مقالاً يحمل العنوان الآتي: «أيديولوجية الديمقراطية»، وفي هذا المقال يطرح رأياً في غاية الشجاعة والأهمية، وذلك في سياق يقول الأرسوزي فيه، إن الحرية هي «حق المرء في أن ينظم سلوكه حسب مشيئته، في أن يختار جميع مظاهر حياته من المهنة حتى الديانة» (مشاكلنا القومية وموقف الأحزاب منها، ص161 - 162).

وإن صح اعتبار الأرسوزي واحداً من أبرز المفكرين القوميين، إن لم يكن أبرز مفكر قومي (قبل ظهور الدكتور سيف الدولة ونضوجه في المجال القومي)، فإن عفلق يعد واحداً من أبرز أيديولوجي الفكر القومي.

لم ألحظ في الأجزاء الخمسة التي ضمت كتاباته السياسية كلها، اهتماما يستحق الذكر بالديمقراطية، لكن ذلك لا يعني أنه غيبها، إذ ألحظ أنه تناولها في عدد من محاضراته وأحاديثه وكتاباته ومقابلاته. والجدير بالذكر أن اهتمامه بالحرية ذات الصلة بالديمقراطية أكبر بكثير من اهتمامه بالديمقراطية نفسها، ومرد ذلك أن البعث طرح شعاره الثلاثي: وحدة، حرية،

□□□□ □□□□□ 21*28 2018.indd 132 8/18/18 4:16 PM

اشتراكية. ومن الأهمية بمكان، كشف النقاب عن الصلة القائمة بين الحرية والديمقراطية عند عفلق وغيره من المفكرين القوميين. بيد أن هذا البحث ليس معنيا بذلك. فالأمر يحتاج مزيدا من البحث. استبعد عفلق المفهوم البرجوازي الرخو للحرية والديمقراطية، ورفض النظام الرأسمالي والديمقراطية الغربية التي أنجبت الرأسمالية. وعلى الرغم من هذا الاستبعاد والرفض، فقد أكد أن الحرية البرجوازية بكل مساوئها خير من فقدانها. قال عفلق في سياق نقده للديمقراطية الزائفة القائمة في سوريا في آذار ١٩٥٦ ما يلي: «ويبقى دوماً في الديمقراطية .. وفي أسوء أشكالها .. في أشكالها الفارغة المتحجرة.. يبقى فيها عنصر أساسي يفيد الشعب..» (ج٢، ص١١٠).

ويلحظ القارئ أن الوحدة المصرية -السورية، وانفصال القطر السوري عن الجمهورية العربية المتحدة، استأثرت باهتمام عفلق، حيث ربط الوحدة بالديمقراطية، مؤكداً أن الوحدة يجب أن تكون شعبية اشتراكية ديمقراطية، ذات محتوى شعبي ديمقراطي، محتوى تحرري اشتراكي ديمقراطي. وقد نقد النظام الفردي البيروقراطي الذي كان قائماً في مصر. وحري بالإشارة أن عفلق كان أكد أهمية الديمقراطية في خطاب ألقاه أواخر عام ١٩٤٦، قائلاً «نظراً لما قاسته بلادنا من خضوع للأجنبي، خلال أزمنة متطاولة، ونظراً لما سيطر على النفوس من خضوع للسلطة والقوة، نحتاج إلى تنشيط فكرة الحرية والممارسة الديمقراطية..» ج٤، (٢٣٣)، ويبلغ اعتزازه بحزب البعث، والدور الذي اضطلع به في الحياة العربية مبلغاً لا يخلو من قدر معين من المبالغة، وذلك عندما يقول: «إن هذا الحزب هو الحزب الوحيد الذي خلق منذ تأسيسه حتى اليوم المفاهيم الانقلابية الجديدة بما فيها « المفهوم الصحيح للحرية والديمقراطية..» (ج4، ص٢٩١).

وإذ خشي أن نعد الديمقراطية التي يكافح العمال في سبيلها مطلباً عمالياً فحسب، يؤكد عفلق أنها «مطلب قومي لكل جماهير الشعب العربي» (ج1، ص٣٠٦).

وفي أعقاب نكسة حزيران عام ١٩٦٧، قال عفلق إن الوحدة «والديمقراطية هما شعارا المرحلة الراهنة» (ج٢، ص٣٤٢).

من المعلوم أن عفلق عدّ الوحدة ذات أهمية استثنائية, على الرغم من أنه ربط بين الوحدة والحرية والاشتراكية. صحيح أن خلاص العرب، بنظره، يتحقق في الوحدة، إلا أن السبيل إلى ذلك هو «الديمقراطية» (ج2، ص٤٠١).

وفي معتقده أن الديمقراطية «أصبحت مطلباً بديهياً، وضرورة حيوية، للخروج من المأزق التاريخي مأزق العجز العربي، والتجزئة والانقسام والخصومات الحادة» (ج3، ص٢١٥).

ويؤكد عفلق أن الأسس الصحيحة للوحدة هي «المبادئ الديمقراطية والاشتراكية..» (ج1، ص١٩٦).

وألحظ أن تجربة الوحدة المصرية السورية، وانفصال القطر السوري عنها، أمران أسهما بدور معين في إيلاء عفلق الديمقراطية مزيداً من العناية. إلا أن عنايته بها لم ترقَ إلى مستوى عناية الدكتور الرزاز بها.

أختم قائلاً: إن الديمقراطية موضوع ينبغي أن يدرس عند المعنيين بها، من السياسيين والمفكرين الذين ينتمون إلى اتجاهات مختلفة وأيديولوجيات متنوعة، أعني الماركسية والليبرالية والدينية، فضلاً عن دراسة الديمقراطية لدى الباحثين الأكاديميين، وذلك كي تكتمل الصورة إلى حد معقول. وهذا موضوع لا يدرس بصورة فردية وحسب، على أهمية هذا الضرب من الدراسة، إنما بجهود مشتركة، كما فعل مركز «دراسات الوحدة العربية».

21*28 2018.indd 133 8/18/18 4:16 PM

□□□□ □□□□□ 21*28 2018.indd 134 8/18/18 4:16 PM

من وحْي طريقِ الحرير:
دروس وعِبَر

أ.د. همام غَصيب/ الأردن*

1. أبدأ من البداية: من الجغرافيا والتاريخ.

الجغرافيا أوّلا: لدينا هنا تضاريس من كلِّ نوْع ولون. تصوّروا! طريق يناهز طوله من أقصاه إلى أقصاه، ستّةَ آلاف وخمسمئةَ كيلومتر إلاّ قليلا. هذا عدا ما يتفرّع عنه من دروب وممرّات برّيّة وبحريّة ونهريّة، وما يتفرّع عن الفروع، وعن فروع الفروع. يبدأ من الصين في أقاصي الشرق على شواطئ الأطلسي. ويمرّ عَبْرَ شبهِ القارّةِ الهنديّة، وقلب العالم (أوراسيا)، بما في ذلك أراض روسيّة شاسعة وتخومها، وبلاد فارس، وبلاد العرب؛ حتى القرْنِ الأفريقيّ وما بعْدَه، وحتى شواطئ البحْر الأبيض المتوسّط. وما أدراكم ما البحر المتوسّط! «البحر العظيم»، كما سمِّي؛ أو «بحرنا Mare Nostrum»، كما لقّبه الرومان. البحر الذي سافرت عَبْرَه الثقافات والحضارات، والذي شهد تبادلا تجاريّا متأجِّجا بيْن الأقوام؛ لكنّه لمْ يتورّعْ يوما في أزمنة شتّى عن نقْل الجيوش الغازيَة وأسلحتهم. البحر الذي تنفّس، وكأنّه كائن حيّ مَهيب، على يد إميل لودفيغ 1)(1881–1948) Emil Ludwig) وغيره(2). البحر الذي يصل بيْن غربيّ آسيا وشماليّ أفريقيا وجنوبيّ أوروبا؛ وهو يمثّل اليوم الحدودَ الجنوبيّةَ للاتحاد الأوروبيّ، وواحدا من أكبر المناطق التجاريّة في المعمورة. ولا ننسى أنّ بغداد العظيمة تقع على «حافَة» المتوسّط الشرقيّ؛ أمّا غربيّ البحر، فكانت تتهادى الأندلس. أتحدّث هنا عن أيّام العزّ والازدهار. فالمتوسّط، إذا، كان امتدادا طبيعيّا لطريق الحرير. مثله في ذلك مثل «النهر العظيم»؛ أي وادي النيل بحضاراته وشعوبه، كما فصّل – مرّة

*عضو رابطة الكتّاب الأردنيّين، أستاذ الفيزياء النظريّة/الجامعة الأردنيّة، عضو مَجْمَعِ اللغةِ العربيّةِ الأردنيّ

21*28 2018.indd 135 8/18/18 4:16 PM

أخرى – إميل لودفيغ في كتاب راق، نقله إلى العربيّة (مثل الكتاب السابق) شيخ المترجمين العرب عادل زعيتر (1895–1957)(3). ماذا بقي من «العالم القديم»، إذا؟ الجواب: تقريبا لا شيء. فطريق الحرير كان أطولَ وأعرضَ وأعمقَ ممّا يبدو لأوّل وهلة؛ وهو لمْ يتركْ أي خاصرة في ذاك العالم إلاّ وطوّقها.

أمّا تاريخ هذا الطريق، فيبدأ قبل أكثر من مئتي عام قبل الميلاد. وصمد حتى فتح القسطنطينيّة (1453م). وجاء الأفول مع كريستوفر كولومبوس (1492م) ومن خلفه من الرحّالة الإسبان والبرتغاليّين والبحّارة الإنجليز والطليان والهولنديّين. وكان ما زال متألّقا حين نهض الرحّالة والتاجر الإيطاليّ ماركو بولو (1254–1324م Marco Polo) برحلته التي عرّفت الأوروبيّين بالصين وآسيا الوسطى عن طريق كتابه المشهور أسفار ماركو بولو (حوالَي 1300م)(4). بدأت الرحلة في 1269م واستغرقت 24 سنة، وقد ألهمت كولومبوس وأثّرت في علم/فنّ (رسم الخرائط). وبعد عودته إلى دياره بأكثر قليلا من ثلاثين سنة، 725/1325م، خرج من طنجة الرحّالة والمؤرّخ والقاضي والفقيه المغربيّ ابن بطوطة (1377–779/1304–703م) الملقّب بأمير الرحّالة المسلمين(5). فطاف برّا وبحرا بدول طريق الحرير (44 دولة حديثة، بما في ذلك أردنّنا)، حسبما فصّل في كتابه المذهل تحفة النظّار في غرائب الأمصار وعجائبِ الأسفار(6). واستغرقت الرحلة 27 سنة، قطع فيها أكثر من مئة وعشرين ألف كيلومتر. وفي طريق العودة، كان الطاعون (الموت الأسود) قد انتشر في بلاد الشام وشبه الجزيرة العربيّة، جنبا إلى جنب مع أوروبا. فطريق الحرير هذا لم يحقّقْ فقط التبادل التجاريّ والثقافيّ؛ وإنّما نَقَل أيضا الأوبئة والأمراض بيْن الآونة والأخرى.

بعْد هذه «الخلفيّة» الموجزة حدّ الإخلال، لا بدّ من قراءة ما بيْن السطور وما تحتها ووراءها.

2

نقرأ أوّلا صفحة تلو صفحة، ولوْحة إثر لوْحة عن تلاقي الحضارات وتلاقحَ الثقافات. أقول: تلاقي الحضارات وتواصلها وتفاعلها وتداخلها. والأدلّة على ذلك جليّة واضحة في الآثار الباقية على امتداد الطريق مكانيّا وزمانيّا. ولا ننسى أنّ التفاعل شمل السرايا والقرايا معا. فنحن نرى إرثه مثلا في فنون النخب والفنون الشعبيّة، سواء بسواء. من هنا كان صمود التعايش بيْن حضارات الطريق المتعدّدة لفترات طويلة. لم يكنْ هنالك صراع حضارات، بالمعنى الذي شاع منذ عام 1993 على يد صموئيل هنتنغتونSamuel Phillips Huntington (1927–2008)(7). ذلك أنّ صراعا كهذا ينشأ حين تتولّد لدى حضارة ما عقدة تفوّق، تفوّقِها على سائر الحضارات؛ ومن ثمّ يكون لها حقّ الهيْمنة على المعمورة. بعد ذلك تأتي سلسلة من التداعيات: ابتداء باستعمار الشعوب [في ذهني الآن المعنى الأصليّ لكلمة «استعمار»] واستعبادهم، ومرورا باحتلال أراضيهم والتهام خيْراتها، وليس انتهاء بسحق الروح والوجدان والذات. حضارة كهذه لا يهمّها سوى «احتواء» أيّ منافسة لها، في الحاضر، أو المستقبل المنظور؛ ولو استطاعت، لجعلت العالم كلّه يدور في فَلَكها. وهي لن تتورّع عن استغلال «القوّة الناعمة» (أي الثقافة) (8)، أو «القوّة الذكيّة» (9) للسيطرة على العقول والقلوب؛ ومن ثمّ ترويض الشعوب. ولن تتردّد في

□□□□ □□□□□ 21*28 2018.indd 136 8/18/18 4:16 PM

الترويج لمفاهيمَ إنشائيّة؛ مثل حوار الحضارات، أو «تحالفها» لخدمة مصالحها؛ وكأنّ لهذه المفاهيم، أيّ معنى بغياب الندِّيَّة الحقّة بيْن المتحاورين، أو المتحالفين! هنتنغتون نفسه هاجم الاعتقاد بكوْنيّة مثل هذه الحضارة، بأنّه «غيْر صحيح، ولا أخلاقيّ، وخطير». واعترف بأنّ الغرب «كسب العالم ليس بتفوّق أفكاره، أو قِيَمه، أو دياناته؛ وإنّما بتفوّقه في تطبيق العنف المنظّم». وأردف قائلا: «وغالبا ما ينسى الغربيّون ذلك؛ أمّا غيْر الغربيّين، فلا!»(10)

نعم! أتحدّث هنا عن الحضارة الغربيّة التي نهلنا منها جميعنا، وما زلنا وسنظلّ. فمَنْ منّا لم يتأثّرْ حتى النخاع ببيتهوفن، وباخ، ونيوتن، ودافنشي، وشكسبير، وغوته؛ إلى آخر هذا الرتَل من المجرّات الساطعة؟ مَنْ منّا لم يهزّه التنوير الأوروبيّ، الذي شَعّ علما وفكرا وفنّا وأدبا؟ الشواهد لا عدّ لها ولا حصر على عظمة هذه الحضارة، ليس فقط في الماديّات؛ وإنّما حتى في الروحانيّات. لكنّها عظمة ناقصة مبتورة. ذلك أنّ التنوير الحقّ، هو الذي يَحتفي بالنور والضياء وبنعمة الحياة وبهجة العيش في كلّ ركن من أرجاء المعمورة؛ من دون أيّ عنصريّة، أو هيمنة، أو انتهاك، أو اغتصاب، أو احتلال للإنسان والأرض والشجر والحجر.

أمّا التنوير الغربيّ، فقد بنيَ في جزء منه على جماجم الشعوب المستضعفة ودمائهم وأكتافهم وخيْراتهم. اسألونا نحن في الوطن العربيّ! اسألوا الشعوب الأصليّة في العالم الجديد! اسألوا الأقوام على امتداد طريق الحرير! فحين نتحدّث عن الكوْنيّة والتنوير، حريّ بنا أن نتساءل: على حساب مَنْ؟

تتدافع هنا بعض الخواطرَ السريعة. الأولى أنّ الغربَ ليس غربا واحدا؛ كما إنّ الشرقَ ليس شرقا واحدا. وأكثر من ذلك، فإنّ بعضَ الشرق أصبح في الغرب، وبعضَ الغرب في الشرق. فالحذر واجب من التمترس خلف تعابيرَ ومفاهيمَ ربّما تجاوزها الزمن. الخاطرة الثانية أنّ إنجازاتِ أيّ حضارة ليست ملكا لتلك الحضارة وَحْدَها؛ وإنّما للإنسانيّة بأسرها (أيْ للعالَمين، بالتعبير القرآنيّ البليغ). أمّا الخاطرة الثالثة، فهي أنّ أيّ حضارة تستحقّ هذا المسمّى هي – في واقع الأمر – حضارات؛ وأيّ ثقافة هي ثقافات.

3

أعود إلى مفهوم التنوير، وأقول: التنوير الحقّ يَقوده ويَصقله المثقّف الحقّ. ومن هو ذاك؟ هو الإنسان الصادق الأمين الذي يعانق الكوْن بأسره، وكأنّه ديرته الممتدّة؛ يعيش من كدّه وجِدّه؛ أبعد ما يكون عن مرتزقة العالم وطفيْليّاته؛ هو ابن الحقّ والجمال والحياة، بكلّ ألوانها وظِلالها ورقائقِها؛ يَشهق مع معذّبي الأرض ومهمّشيها، ويَفرح مع الأطفال الصغار والكبار وأنقياء القلوب ذوِي اللمعان في العيون؛ يسعى ليْلَ نهارَ وراء النور والتنوير والحرّيّة المسؤولة والعدالة؛ يَقرن الصرامة في المسعى بالرأفة على أخيه الإنسان؛ والأهمّ أنّه يبدأ وينتهي بقدسيّة الحياة.

قدسيّة الحياة هذه هي أصل الأخلاق والأخلاقيّات. وهي التي تملي الشرائع والقوانين؛ وتعرِّف العَلاقة المركّبة بيْن الإنسان وأخيه الإنسان، وبيْن الإنسان وبيئته بكلّ أبعادِها. فأيّ انتهاك، أو امتهان لها؛ إنّما هو إرهاب من الدرجة الأولى. والإرهاب، أي ترويع الأبرياء وارتهان

□□□□ □□□□□ 21*28 2018.indd 137 8/18/18 4:16 PM

حياتهم وخرْق أمنهم وأمانهم، ينضح من نفوس شوْهاء ميتة، اعتراها الموات واليَباب. والنفوس الميتة الضيّقة تقمع ظاهرة الحياة نفسها، وتقزّم حتى الكتبَ الكريمة. مثل هذه الذهنيّات المعتلّة حتى البذور والجذور بحاجة إلى تفكيك وتحليل وتشريح، وربّما لروايات عميقة نافذة تستلهم فيدور دستويفسكي. وأخطر أنواع الإرهاب هو الذي يدّعي أنه نابع من أوامرَ إلهيّة. فلا عجب أنْ يكفّر البشريّة بأسرها من دون أنْ يرفّ له جفن. ولعلّ ظاهرة التكفير هذه من الآفات الكبرى في زماننا، مع أنّها ليست بجديدة؛ فلم يسلمْ منها دين ولا مذهب عبْر التاريخ. وهي من أعتى أعداء التنوير وقدسيّة الحياة. المفارقة المؤلمة انّ الإرهاب التكفيريّ هذا يلقى الدعم والتمويل، فيما يبدو، من دول كبرى وصغرى؛ لأنّه يخدم مصالحها الآنيّة؛ رغم أنّ السحر ينقلب دائما على الساحر في النهاية. ذلك أنّ الإرهاب أصبح جزءا من لعبة الأمم. وهذا سرّ من أسرار «صموده». ولا ننسى هنا إرهاب الدول الذي يلقى هو الآخر دعم الدول الكبرى جهارا نهارا. وقد نلمح شيئا من كلّ هذا في إرهاب القراصنة وقطّاع الطرق، الذي كان يعصف أحيانا بدروب الحرير، وامتداداتها البرّيّة والبحريّة؛ إلاّ أنّه شتّان بيْن الماضي والحاضر بفضائه الإلكترونيّ والفوتونيّ وتشابكه المعوْلم!

التصدّي للإرهاب بشتّى أشكاله وصوره، ما بطن منها وما ظهر، لا بدّ أنْ يأتي في أولويّة الأولويّات لمثقّفي العالم الحقيقيّين؛ جنبا إلى جنب مع الجهات السياسيّة والاقتصاديّة والأمنيّة والعسكريّة (على افتراض حسن النوايا، وصدق الأقوال والأفعال). كيف؟ بأنْ يبثّوا رسالة التنوير وجوهره الإنسانيّ عَبْر وسائل الاتّصال المختلفة؛ بأنْ ينشروا على أوسع نطاق إلكترونيّا وورقيّا بصورة جاذبة آسرة الوثائق التنويريّة الكبرى التي تفتّقت عن قرائح الحضارات الإنسانيّة منذ فجر التاريخ [وهنا أقترح – أنا العربيّ المسيحيّ، ابن الحضارة العربيّة

الإسلاميّة، الذي لا يزاود على أحد، ولا يزاود عليه أحد – أن يكون في صدارة هذه السلسلة دستور المدينة، الذي وضعه الرسول الكريم (عليه الصلاة والسلام) في السنة الأولى للهجرة/623م، في المدينة المنوّرة لتنظيم، في سبعة وعشرين بَندا من بنوده الاثنيْن والخمسين، أرقى العلاقات وأنبلها بيْن شتى الطوائف والمذاهب، والملل والنحل؛ يضاف إليها في زماننا هذا رسالة عمّان، التي أطلقها جلالة الملك عبد الله الثاني ابن الحسيْن، في ليلة القدر من شهر رمضان (1425هـ/2004م) (11)؛ بأنْ يرصدوا ويكشفوا كلّ حركة، أو لعبة أمميّة من شانها أنّ تثيرَ النعرات والصراعات، بين أتباع الديانات والحضارات والثقافات، وأنْ تؤجّجَ الرهاب (الفوبيا) من الآخَر؛ بأنْ يسلطوا الضوْء على حواضر التنوير ومنارات الإشعاع الحضاريّ، التي تهفو إليها النفوس على امتداد الزمان والمكان، مثل: تلك التي رصّعت طريق الحرير من شواطىء الأطلسي، إلى أفريقيا والعمق الأوروبيّ، حتى أصغر الممالك، كإمارة صقلية التي كانت بيْن عاميْ (831 و 1071م) من المراكز الكبرى للثقافة العربيّة الإسلاميّة في المتوسّط، وبعد أن غزاها النورمانديّون انصهرت فيها التأثيرات العربيّة والغربيّة والبيزنطيّة، ومثل: الأندلس أيّام الأوْج، والإسكندريّة، وغيْرها؛ بأنْ يكثّفوا مساهماتهم في الفنّ العظيم، والأدب الرفيع، والفنون الشعبيّة العريقة، والأفلام التي تستنهض أنبل القيم الإنسانيّة المشتركة.

□□□□ □□□□□ 21*28 2018.indd 138 8/18/18 4:16 PM

4

وما دَوْر العلم في هذا كلّه؟ ألمْ يكن اكتشاف الحرير كشفا علميّا باهرا؟ إذا، عدا كوْنه رمزا دينيّا ورمزا اقتصاديّا، كان الحرير رمزاً علميّا تكنولوجيّا. فلا عجب أنْ طبع الطريقَ العملاق باسمه. ونحن نرى هنا، بيْن الحقبة والأخرى، صفحات مشرقة عن «دبلوماسيّة العلم»؛ بمعنى العلم في الدبلوماسية، والعلم من أجل الدبلوماسيّة، والدبلوماسيّة من أجل العلم. بعبارة أخرى، فإنّ التعاون العلميّ بيْن الدول يعزّز العَلاقات بيْنها، والعكس بالعكس؛

كما في الماضي كذلك في الحاضر، لنذكر هنا مثاليْن بارزيْن على مثل هذا التعاون بيْن بعض دول الحرير، ضمن سياق ما نسمّيه «العلم الكبير».

الأوّل مركَزه مرصَد مراغة [بالفارسيّة: رصدخانة مراغة] الذي أسّسه العلاّمة نصير الدين الطوسيّ سنة 657هـ/1259م، غربيّ مدينة مراغة ضمن محافظة أذربيْجان الشرقيّة في إيران. وشارك في تشييده والنهوض به علماء كبار آخرون، من سورية والأناضول وبلاد فارس والشرق الأقصى. وكان يعجّ بالأجهزة المتقدّمة؛ كما كان يحجّ إليه الطلبة من كلّ فجّ. ولكم أنْ تتخيّلوا قبّته الهائلة، ومكتبته الضخمة. فلا عجبَ أنْ عنيَ علماؤه – ربّما لأوّل مرّة في تاريخ البشريّة بتلك الصورة الواضحة – بالتوفيق والمواءمة بيْن مبادىء الفيزياء ومبادىء الرياضيّات؛ الأمر الذي أدّى في القرنيْن الثالثَ عشرَ والرابعَ عشرَ الميلاديّيْن، إلى ما سمّيَ ثوْرة مدرسة مراغة، ضدّ النظام الفلكيّ القديم أرضيّ المركَز، الذي جسّده بطلمْيوس في كتابه المشهور المجسطي. فكانت ثوْرة كوبرنيكوس – إنْ جاز التعبير – قبل كوبرنيكوس، التي اكتملت في بواكير القرن الرابعَ عشرَ على يد ابن الشاطر، موَقِّت الجامع الأمويّ، بنظامه شمسيّ المركَز، والتي استندت إلى أسس علميّة تجريبيّة، لا فلسفيّة.

أمّا المثال الثاني، فتمحور حوْل مرصد سمرقند الذي بناه الأمير العالِم أولوغ بيك (1394–1449م)، حفيد تيمورلنك، بيْن عاميْ (1424 و 1428م)، على بعْد كيلومتريْن من مدينة سمرقند. وكان هذا المرصد هو الآخر منارة علميّة لا تجارى آنذاك. إلاّ أنّه لم يدمْ أكثر من 21 سنة؛ حينذاك اغتيل أولوغ بيك (الذي كان قد أصبح ملكا قبل ذلك بسنتيْن) على يد ابنه البكر، وهَدَم أعداؤه مرصده. فتشتّت علماؤه حاملين العلمَ النافعَ معهم؛ تماما كما فعل علماء بيزنطة بعد فتح القسطنطينيّة، حين حملوا علومهم وحضارتهم إلى إيطاليا وغيْرها، فكانوا عنصرا مهمّا من عناصر النهضة الأوروبيّة Re-naissance.

وهكذا؛ كأنّنا نتحدّث عن العلم في عالمنا المعاصر، بمراكزه البحثيّة الكبرى، وعلى رأسها المنظّمة الأوروبيّة للبحوث النوويّة (سيرن CERN 12)، التي يستخدم مرافقَها أكثر من (600) جامعة ومعهد حول العالم. فالعلم نور وتنوير، إذا اقترن بالقيَم الإنسانيّة الرفيعة؛ والتعاون العلميّ الدوليّ، لا بدّ منه للتصدّي للمشكلات المناخيّة والبيئيّة والصحّيّة والغذائيّة وغيرها التي تعصف بالبشريّة.

5

وهذه رسالة طريق الحرير: النور والتنوير والحرير، ضدّ الظلام والتكفير والتضليل من أيّ صنف، وضدّ كلّ ما من شأنه، أنْ ينتهكَ قدسيّة الحياة ونعمة الحياة وبهجة الحياة. وليست هذه رسالة رومانسيّة إنشائيّة ساذَجة؛ وإنّما هي دعوة

□□□□ □□□□□ 21*28 2018.indd 139 8/18/18 4:16 PM

إلى مثقّفي العالم الملتزمين لوضع الاستراتيجيّات وخطط العمل، التي تترجم الأفكار النبيلة، إلى برامجَ عمليّة ميّدانيّة ملموسة التأثير بيْن الناس، وتضغط معنويّا على القوى السياسيّة المتنفّذة فتكبح جماحها وتغوّلها. أخاطب هنا المثقّفين عابري الحضارات والثقافات، الذين ينطلقون من أوطانهم إلى العالم الرحب الفسيح، معظّمين القواسمَ الإنسانيّةَ المشتركة؛ أولئك الذين لا يتردّدون عن فضح كلّ طغيان، أو احتلال، أو إرهاب، أو عنصريّة، أو متاجرة بالإنسان وكرامة الإنسان. فالتحالف الحقّ، في رأيي المتواضع، ليس بيْن الحضارات بالمطلق؛ وإنّما بيْن التيّارات التي تمثّل أنبل ما في هذه الحضارات، وأكثرها تمسّكا بأخوّة البشر، ضدّ التطرّف والانغلاق والتحجير والجاهليّة. هكذا يكون استلهام طريق الحرير.

وهذا نداء أخير، وليس آخرا: يا إنسانيّي/ إنسانَويّي العالم! اتّحدوا! تعاونوا على العدل، ولو ضدّ أنفسكم! راقبوا طرق النفط والغاز؛ فهي قد تأكل الأخضر واليابس، عدا تلوّث السياسات والبيئات! وظّفوا دروب الإلكترونيّات والفوتونيّات والفضائيّات والفضاءات في خدمة الإنسان وقضاياه. فهذه دروب الحرير المعاصرة؛ مع أنّ التواصل الحميم المباشر بيْن الأمم والأقوام

يبقى هو الأصل. لِيَقدْ طريق الحرير – مرّة أخرى – الأقوام والشعوب إلى الأنوار والضياء. فهو – بامتداداته الجغرافيّة والتاريخيّة؛ بأممه الناهضة والساعية إلى النهوض – يحتضن قلب العالم.

المراجع والهوامش

(*) حيث لا توجد إشارة إلى مراجعَ محدّدة، استعنت بمواقع إلكترونيّة عدّة، على رأسها ويكيبيديا Wikipedia.

(1) الترجمة الإنجليزيّة: On Mediterranean Shores؛ والترجمة العربيّة للمرحوم عادل زعيتر.

(2) مثلا: The Great Sea: A Human History of the Mediterranean David Abulafia, Oxford University Press, Oxford, 2011).

(3) الترجمة الإنجليزيّة: translated by: Mary H. Story ، The Life of a River–The Nile: The LifeLindsay (The Viking Press, 1937) . أمّا ترجمة المرحوم عادل زعيتر، فهي بعنوان: تاريخ الشعوب والحضارات في وادي النيل.

(4) also merveilles du monde (Book of the Marvels of the WorldLivres des .1300)c. ، Travels of Marco Poloknown as

(5) هو محمّد بن عبد الله بن محمّد اللواتي الطنجيّ.

(6) أملاه في مدينة فاس سنة 756هـ.

(7) انظر: مقالته المنشرة في مجلّة Foreign Affairs الأمريكيّة، بعنوان: 1993) "Civilizations?" of The Clash)؛ ثمّ كتابه The Clash of Civilizations and the Remaking of World Order (1996).

(8) Bound to Lead: The Changing Nature of [Harvard University], Joseph Nye(Basic Books, 1991. American Power

(9) Richard L. Armitage and Joseph Nye, Jr., "Stop Getting Mad, America; Get , December 9, 2007.The Washington PostSmart".

(10) الاقتباسات هنا كلّها من كتاب هنتنغتون(7)؛ وهي من ترجمتي.

(11) انظر الموقع الإلكترونيّ الرسميّ لرسالة عمّان: www.amanmessage.com.

(12) كلمة سيرن مشتقّة من الأحرف الأولى للاسم الفرنسيّ للمنظّمة الأوروبيّة للبحوث النوويّة. وهي المختبر العالميّ الأبرز في فيزياء الجسيْمات؛ أي الجسيْمات الأساسيّة التي تتكوّن منها المادّة. وقد أسّس عام 1954 عبر الحدود الفرنسيّة–السويسريّة قرب مدينة جينيف.

ورقة رابطة الكتّاب الأردنيّين المقدّمة للندوة الدوليّة*
(طريق الحرير الثقافيّ ودوْره في تواصل الحضارات)
مقرّ رابطة الكُتّاب الأردنيّين – عمّان – 25/7/2015

21*28 2018.indd 140 8/18/18 4:16 PM

جمال ناجي ... سلام عليك

سعد الدين شاهين/ الأردن

كان جمال يأتلف ويختلف، كعادة المرهونين بعمارة الحياة وهندسة الكون، وها هو قد غادرنا الآن، استطاع أن يجعلنا في هذا الجمع الكريم، نأتلف ولا نختلف على شخص، فقيد الحرف والأدب والعمل النقابي الرشيد، كرئيس سابق لرابطة الكتاب الاردنيين.. كما السفراء والدبلوماسيين، يُطلب منهم تقديم أوراق اعتمادهم، حين يتسلمون حقيبة مهامهم الجديدة، وأنت كعادتك، الدبلوماسي السهل الممتنع، في تعاملاتك مع مفردات الحياة اليومية، مع أن المرض لم يمهلك، لتودع محبيك واصدقائك، وتودع وسط البلد عمان، حيث أحببت حيث كان يطيب اللقاء في شوارعها ومطاعمها وجلساتها، مع أنك كنت تسعى بصبر الروائي إلى ترميم حالة الخراب العامة، باحثاً عن أدواتك بين الأنقاض، لتخلق ما يشبه حالة الرفض، لكل المعطيات التي تستفحل بيننا، حتى تؤسس إلى خواء لا نهائي، التي دفعتك

□□□□ □□□□□ 21*28 2018.indd 141 8/18/18 4:16 PM

إلى كتابة رواياتك، ومجموعاتك القصصية من مخلفات الزوابع الأخيرة، حتى غريب النهر، إلى أن جاءك هادم اللذات زائراً غير رفيق، يطلب أوراق اعتمادك الأخيرة... فتقدمت بها كعادتك غير هياب، وبكامل قيافتك وعنفوانك الإبداعي، لتجمعنا في مثل هذا الحزن على ما نأتلف أكثر مما نختلف.

بالأمس القريب كنت تضج بالهدوء، ولم تسعفنا في رابطة الكتاب الأردنيين، بيتك الأثير وعشيرتك الأقربين، أن نقوم بواجب تكريمك حيا، وكنا قد اتخذنا قراراً بتكريم من شغلوا مهمة رئاسة هيئاتها الإدارية من الأحياء وأنت من بينهم... نعم في نفس الأسبوع الذي غادرتنا فيه، دون أن تعلم بقرارنا ... وكأنك تعلن احتجاجك على هذا التأخير المعتاد، ليس عندنا فقط؛ بل في أغلب مؤسساتنا العربية، تجاه أعلامها ونجومها المضيئة، وكأن النجوم لا تبهرنا إلا في ليل الصحراء.

الآن أنت أمامنا نستحضرك، ونخاطبك بشحمك ولحمك للحظات معدودة، وسنغيب عنك نحن محبوك وأصدقاؤك وزملاء الحرف والقلم وقراؤك، جئنا الآن جميعاً، كي نقدم بين يديك أوراق أعتماد محبتنا لك... كيف لا وأنت لم تتناول معول هدم، لتذر ما تبقى من رماد؛ بل كنت تحاول أن تعجن هذا الرماد، بما يتقاطر من حبات عرقك، ومداد قلمك، لتكوّن لبنات فكرك، وتؤسس بها عالمك الطوباوي المليء بالإنسانية، مصارعا شخوصك الواقعية حينا، ومسالما حينا آخر، مسامحاً لشخوص رواياتك، حتى ولو تغلبوا عليك بين الحين والآخر، فكانوا يجوبون بيننا، فيما أنت تبحث عن شخوص آخرين أكثر طيبة، وخيراً من شخوص رواياتك لا لضعف فيك، أو وهن، وإني لأعرف أن فيك قوة بمنطقك وحجتك؛ ولكن ما كان هذا إلا لتهزم نهجهم أمام قرائك, في ما يشبه لعبة الشطرنج، مرمزا صورهم وبيئاتهم، ومسبغا عليهم تألقا من نوع خاص، كالذي يتألق به المخمليون في مجتمعاتنا المعاصرة، معرياً ما يخفونه من زيف سلوكي تحت أغطيتهم المخملية، معطياً لهم فرصة الوجود ولو لبرهة قصيرة, ليقفوا بكل شططهم في صناعة الظلم والقهر والتردي.

قد تجعلهم ينتصرون حيناً, لكنهم في النهاية بعبارة واحدة من قلمك الحر، كانت تكفي كي يخلعوا قمصانهم، ويرفعونها رايات استسلام وهزيمة، وبين الحالتين؛ هذه وتلك، كنت تجدك أنت جمال ناجي بكامل تفاصيله، ساخراً مستهزئاً، يقول ما يريد ويمضي.

والآن نودعك ونحن نواسي أنفسنا، بأيام وذكريات عشناها لأكثر من ثلاثين سنة، عرفناك خلالها في الحل والترحال، في السفر والإقامة والعلاقات العائلية، عرفنا بديهتك الجاهزة في حل المشكلات، والخروج من المآزق الكثيرة، بأقل الخسائر أحياناً، والفوز في أغلب الأحيان، ولم يهزمك إلا الموت الذي يتصيدنا واحداً واحداً، لا نملك لك إلا أن نقول سلام إليك وعليك في العليين حيث ستفضي...

أيها الصديق العصامي المعتق بماء الإغتراب والكد والعمل المثمر... أعرف أنك كنت تدهن بدنك بمرهم الكتابة؛ كي تشفى من آلام الوطن والمجتمع والحالة... وتصبر نفسك لعبور الوطن، الذي كان وما زال ينتظر التحرير من البحر إلى، النهر، مقاوماً بكل أشكال التطبيع، لم ترخِ خيولك للاستسلام في واقع كل شيء فيه يقود إلى الإحباط... عنادك يفسره السهر مع الحرف وجلسات الأصدقاء، لكنه هادم اللذات

□□□□ □□□□□ 21*28 2018.indd 142 8/18/18 4:16 PM

ومفرق الجماعات... يا صديقي الذي يخر له كل شيء بحروفه الثلاثة، ولا يفيد معه بلسم العناد...

ولكن ستبقى مراهم الكتابة عصية عليه، لا تندثر ولا تذوب بمرّ السنين، أو بلهيب الأحداث... مرهم الكتابة التي خلفتها مع مخلفات الزوابع الأخيرة، وفيما جرى يوم الخميس، وليلة ريش، وعلى ذمة الموت، وعندما تشيخ الذئاب، إلى غريب النهر أخيراً، الذي خذلك، ولم يصطحبك إلى العباسية أيها الغريب، الذي انتظر العودة إلى عباسيته غرب النهر طويلاً، ولم يعد إلا مع امتداد التراب الذي احتضنه أخيراً.

ها أنت تعود الآن موشحاً بالبياض، وبأدعية أهلك وعشيرتك، من الأدباء والكتاب الأردنيين والعرب، فاغفر لنا ولمؤسساتنا الوطنية المعنية، بالثقافة والمثقفين عادة عدم الانتباه لنجوم الوطن، إلا بعد فقدناها... فسلام عليك مرة ثانية، وثالثة، وألف مرة، لقد أفضيت إلى ما أفضيت، فارقد بسلام، واترك لشخوصك تتحرك بيننا، لتنوب عنك، بعد أن واراك اللحد، فهي لن تموت بغيابك، أو بموتك.

وبعد أن تلقي كل شخصية من شخوصك على شاهد قبرك بوردة، علها تتفتح حين تمر عليها عصافير الحياة، وتستبدل عنوانك منذ الآن، ليصبح على ذمة الحياة جمال ناجي... أعرف أنك أوصيت شخوصك أن تمر على شاهدك، كلما قرأها قارئ، واستوقفته مفارقة من مفارقاتك.

زاملتك حين قدنا رابطة الكتاب الأردنيين في أحسن حالاتها، حين كنت أنت رئيسها، وأنا أمين سرها، عرفتك أكثر وأكثر، من مسافة الصفر يا صديقي لا حقد لديك، لمن كان يختلف معك، وكنت باسط يديك للجميع، وهذه سمة الذين يجيدون واجبهم، ويحبون عملهم التطوعي، لم تكن تعرف الملل، أو الكلل في العمل النقابي، فقد كنت نقابياً من طراز رفيع، لذلك أحبك زملاؤك من المنتظرين الذين يدعون لك... فلك وللذين قضوا؛ بالرحمة والمغفرة، فسلام عليك وعليهم واحداً واحداً، فارقد مع الذين قضوا بسلام وطمأنينة، وانصت في مرقدك، لدعوات المنتظرين بعدك من زملائك وأصدقائك ومحبيك.

فكما تقدمت بأوراق اعتمادك لملك الموت، اترك لهم الآن في حضرتك، يسلمونك أوراق اعتمادهم ودعواتهم، ومحبتهم لك، ويحق لنا أن نأخذ بعزائك سلام عليك...

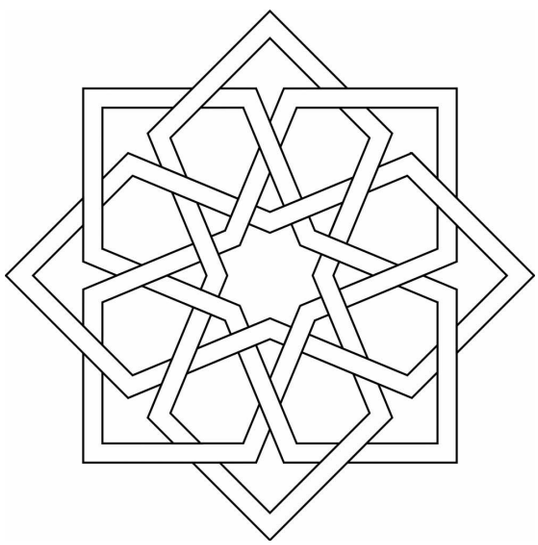

21*28 2018.indd 143 8/18/18 4:16 PM

عمل الفنان يعقوب العتوم/ الأردن

□□□□ □□□□□ 21*28 2018.indd 144 8/18/18 4:16 PM